٥٢٠

520

دار م. النحاس

عبير

HARLEQUIN

www.elromancia.com

مرمورية

لعبة الانتظار

ديانا هاميلتون

لعبة الانتظار

ديانا هاميلتون

«واجهي الحقيقة. فأنت معجبة بي مثلما أنا معجب بك . كلانا يعرف ذلك منذ اللحظة الأولى للقائنا. اعترفي بذلك.»

كان سول اكرمان، مدير التلفزيون، يبدل أصدقاءه تماماً كما يغير ثيابه. فهو غني، ناجح، وجذاب، ولم تكن هناك امرأة لم ترغب في مشاركته حياته، وقد اعتقد أن فينيللا هي واحدة من هؤلاء النساء. لكنها في الحقيقة لم تكن تلك الشقراء المتحررة. وقد كان هناك سبباً لإخفاء شخصيتها...

«ماذا تفعل؟ أهذه هي الطريقة التي تعامل بها ضيوفك؟»

«أنا أعامل ضيوفي النساء تماماً حسب شخصية كل واحدة منهن.» ثم تابع بهمس وقال: «كان من المستحيل مقاومتك. وبالنسبة لما كنت أقوله...»

أحست فين بالاشمئزاز من كلامه...

ديانا هاميلتون

ديانا هاميلتون رومانسية بطبعها، فقد أغرمت بزوجها من النظرة الأولى. وهما لا يزالان يعيشان قصة الحب تلك في بيتهما حيث أنجبا أولادهما الثلاثة. ويشاركهما المنزل كذلك ثمانية قطط وجرو واحد. لكنها، بالرغم من نمط حياتها الصاخب الذي تعيشه، لم تفارق الكتاب يوماً منذ أن تعلمت الكتابة والقراءة... فهي إما تقرأ كتاباً أو تؤلف واحداً... وهي تنوي ان تستمر في ذلك إلى نهاية حياتها.

٥٢٠

khouloub Abir 520

لعبة الانتظار

ديانا هاميلتون

دار
مؤسسة النحاس
للطبع و النشر و التوزيع
بيروت - لبنان

www.elromancia.com

الفصل الأول

نظرت مجموعة الصحفيين والمصورين الذين كانوا ينتظرون أمام مدخل مطعم وست إند الفخم إلى سيارة الأجرة التي توقفت عند المدخل.

«أنت على حق، لأنهم لحقوا بنا إلى هنا.» ثم اقتربت فينيللا أكثر إلى حيث يجلس أليكس، وهي تنظر إليه بعينيها البراقتين، وقالت له بلكنة غير التي تستخدمها عادة، إذ انها تستخدم لكناتٍ كثيرة وبسهولة كبيرة في حديثها: «استجمع قواك أيها الوسيم.» فنظر أليكس إليها وابتسم.

«أنا دائماً على حق يا عزيزتي، عليك ان تعرفي ذلك. هيا، دعينا نبدأ المواجهة!» ثم وضع يده على قبضة الباب، وبالرغم من نبرة صوته المداعبة، كشف ضوء السيارة الداخلي عن التوتر الظاهر على وجهه.

أخذت فينيللا تقول في نفسها انه رغم بلوغ أليكس سن الخامسة والخمسين، الا انه لا يزال وسيماً، ويتمتع بسلاسة وخف ظل. وهي لا تستطيع أن تفهم كيف يحاول سول أكرمان، رجل الأعمال القاسي القلب أن يطيح بأليكس.

فماذا يعرف سول عن أليكس؟ أليكس الذي يتمتع بموهبة الابداع، فهو لا يمكنه إدراك ذلك لأنه لا يشغل عقله سوى الحسابات والأرباح.

رسمت فينيللا ابتسامة عريضة على وجهها لدى

خروجها من السيارة ووقوفها على الرصيف، والأضواء الخافتة تنعكس على وجهها الحنطي اللون المتجه إلى حيث يقف أليكس الذي كان يدفع النقود لسائق سيارة الأجرة، وهي تنظر بعينيها المثقلتين إلى أولئك الصحفيين.

كان طولها ملفتاً للنظر، خصوصاً في الحذاء العالي الكعب الذي كانت تنتعله، بالإضافة إلى فستانها الذي أضاف رونقاً إلى هيأتها الأنيقة وكتفيها العريضين، وقماشه الحريري الأسود المنسدل.

بعد ما اختفت سيارة الأجرة، استأنف الصحفيون حركتهم باتجاه فينيللا عندما تعرفوا إلى شخصية مرافقها. فقد تتبعوا أخبار سول أكرمان عندما كان في المسرح فالتقطوا بعض الصور، وسجلوا بعض الكلمات التي صرّح بها وبطلة المسرحية التي كان يرافقها، مما جعل الصحفيين يصفون هذا النهار بالمميز. فقد كان هناك الكثير ليكتبوا عنه، كاتب مسرحي لامع وبطلة المسرحية المعروفة في كافة أنحاء البلاد.

توجهت فينيللا إلى الجهة الثانية من الرصيف حيث كان يقف أليكس، والابتسامة العريضة لا تزال مرسومة على وجهها، بينما كان المصورون يلتقطون الصور.

«هل حضرت الافتتاح، يا سيد فيربورن؟»

«ما رأيك في ذلك الولد الجديد في محطة فيجن وست؟»

«الآن، بعد وجود هذه العلامة المميزة في محطة أكرمان، أتظن ان برنامجك سيستكمل بالشكل نفسه؟»

ثم انهمرت الأسئلة بسرعة على أليكس وقد أبدت فينيللا

دهشتها لسرعته في الإجابة دون أي اضطراب أو انزعاج، محافظاً على نبرة صوته الطبيعية الناعمة.

«لا يمكنني أن أدعو جيثرو تامبلين ولداً، لكنه عبقري بكل تأكيد. وكما تعلمون، هو متعاقد مع محطة فيجن وست على أن يمثل مسرحيتين سنوياً لشبكات التلفزة، الأمر الذي يجعلنا نفتخر به.»

كان ذلك أمراً واضحاً للجميع. إذ ان محطة فيجن وست كانت قد وزعت مصوريها خارج المسرح، للتأكد من أن كل سكان الجهة الغربية يعرفون أن محطة التلفزة المحلية هي التي تنقل هذا الحدث. حضور سول أكرمان للعرض الأول، ومن ثم حفل العشاء الذي أقامه بحضور المؤلف وزوجته، وفيستافين، بطلة المسرحية الجميلة، في رداء أنيق بعد انتهاء العرض.

«وهل ستستمر شبكات التلفزة في شراء برنامج (أمسيات مع أليكس؟) هل أنت قلق بشأن انخفاض نسبة المبيعات؟»

قالت فينيللا مقاطعة والتجهم بادٍ على وجهها: «عزيزي، هل علينا أن نبقى هنا؟ الجو بارد.»

لكن الجو لم يكن كذلك. فقد كانت هذه الليلة احدى ليالي شهر أيار (مايو) الدافئة، لكنها لم تكن تريد أن تستمر تلك الجموع في استجواب أليكس، فاقتربت منه وكأنها تطلب منه أن يحميها. فهي لا تذكر انها احتاجت طوال سنين عمرها الخمس والعشرين إلى شخص أو حماية. لكنها كانت لتفعل أي شيء حتى تنقذ أليكس من ضرورة الإجابة عن هذا السؤال بالتحديد.

وبعد قليل، سمع أليكس صوتاً جهورياً أعلى من أصوات باقي الصحفيين يسأله: «ألم يكن في امكان زوجتك مرافقتك الليلة، يا أليكس؟ هل تركتها في المنزل تقرأ كتاباً؟»

نظرت إلى الصحفي الذي كان يزاحم الآخرين ليسجّل الحديث. فهي تدرك أن هذا هو عملهم الذي يعتاشون منه، لكن هل عليهم أن يكونوا فضوليين إلى هذا الحد؟

أجاب أليكس باضطراب: «جين في إيدنبرغ تزور والدتها. والآن إذا لم يكن لديكم أي مانع...»

غير أنهم لم يأبهوا لطلبه هذا، إذ أن أحدهم سأل: «وهل أنت من محبي مشاهدة المسرح، يا آنسة؟ أم انك سيدة؟» ثم قال ملحاً عندما رفضت فينيللا التعريف عن نفسها: «عارضة أزياء، ربما، تحاول إقحام نفسها للظهور على شاشة التلفزيون؟»

فقالت: «آه، أليكس...» ثم خبّأت وجهها وراء كتفه عندما بدأ المصورون بالتقاط الصور مجدداً.

فقال غاضباً: «هذا يكفي. إذهبوا إلى مكان آخر.» ثم عبر واياها إلى مدخل المطعم الفخم.

التقط الاثنان أنفاسهما، واستعادت فينيللا تماسكها في الوقت الذي راحت عينا أليكس القاتمتا الزرقة تنظران إلى وجهها الشاحب بقلق شديد.

«هل أنتِ بخير يا عزيزتي؟»

«أنا بخير.» ثم نظرت إليه بعينيها البراقتين وتابعت قائلة: «لقد حذّرتني من كل ذلك. أعتقد أنني أستطيع العيش رغم هذه المخاطر!»

لم يكن هناك مجال لقول أي شيء آخر، لأنه تمّ اصطحابهما إلى داخل المطعم، حيث الأضواء الخافتة، الديكور الفاخر، والنباتات تضفي على المكان سحراً غريباً، بالإضافة إلى الستائر المصنوعة من الحرير الصيني الناعم مزيّنة برسوم التنين الذهبية اللون وعيون بلون الياقوت البراق.

كان المطعم مكتظاً بالجميلات والوسيمين. أما الطاولة التي تم اختيارها ليجلسا إليها فقد كانت على مقربة من مائدة سول أكرمان وضيوفه، لدرجة أنها إذا نظرت إلى الجهة اليسرى لكتف أليكس لكانت رأت المدير مباشرة.

وبنظرة سريعة شاملة أدركت فينيللا أن لأكرمان حضوراً أكثر مما ظنته حين أشار أليكس إليه عندما كانوا في المسرح. فهو في منتصف الثلاثينات من عمره، يتميز بتقاسيم وجه لا يملّ من النظر إليها. لكن كان هناك ما هو أكثر من التناسق، جسم قوي البنية متناسق القسمات، شعر أسود كثيف، وعينان رماديتان حانقتان. إنها قوته.

لم تنظر إلى سول ثانية. لكنها ركزت نظرها على أليكس الذي كان يظهر على أحد جانبي فمه التواء بسيط لا يظهر إلا حين يكون متوتراً. ثم قالت: «لا تقلق، سيكون كل شيء على ما يرام. أعدك.»

«بالطبع سيكون كذلك.» وقد سبق كلامه هذا تردد بسيط لكنه سرعان ما عاد وابتسم ثم نظر إلى عينيها، ليعود بذلك إلى طبيعة الرجل الواثق من نفسه الذي أحبته. استأنف بعد ذلك كلامه قائلاً: «اطلبي الآن ما تشائين، يا عزيزتي فين، اطلبي أفخر أنواع المآكل.»

«حسناً...» لكنها أحست بنبرة تدل على شك في صوتها فحاولت اخفاءها، لكن لائحة الطعام التي قدمت إليها لتختار منها ما ترغب في تناوله، كانت تحتوي على أصناف غريبة وأخرى شهية، ولم يكن سعر الأصناف مكتوباً. ثم تابعت بنبرة لم تستطع تغييرها: «هل تستطيع ان تدفع ثمن ما سنطلبه؟»

«اعتبريه رداً لخدمات قمتُ بها وأخرى ساقوم بها.» ثم جلس بطريقة أظهرت أهمية شأنه وفي عينيه نظرات وعلى فمه ابتسامة مرسومة، جعلتها تدرك فعلياً لماذا تمنت كل النساء مرافقته خلال تأديته أدواره التمثيلية على المسرح منذ عقد أو اثنين من الزمن، ولماذا بقي محتفظاً بالصدارة لوقت طويل. ثم أضاف: «وإذا لم يكن في استطاعتي دفع القيمة، فجين تستطيع.»

«كفى!» ثم غطت رأسها بلائحة الطعام. فقد كانت تتضوّر جوعاً. وقد كان معروفاً أن جين كانت ثرية جداً. إذ انها ورثت ثروة طائلة من والدها وسترث ثروة أخرى بعد وفاة والدتها. لكن فينيللا كانت تعرف ان جين لم تكن في انتظار أي حدث، إذ ان والدتها قد تجاوزت التسعين من عمرها. لذلك فإنه لم يكن من الصعب على زوجة أليكس أن تدفع قيمة وجبة في مطعم فخم كهذا!

سأل أليكس بعد أن طلب الطعام: «هل لاحظ أكرمان وجودنا؟ سيكون الأمر واضحاً إذا ما التفتُ أنا ونظرت. فأنا أريده أن يظن ان وجودنا هنا هو مجرد صدفة ليس أكثر. انظري إلى طاولة أكرمان وضيوفه، حاولي ان تجعلي نظرتك عفوية.»

لم تكن فينيللا متأكدة من ذلك، لكنها كانت تعرف الصعوبة التي واجهها أليكس ليعرف المطعم الذي سيقضي فيه أكرمان السهرة مع ضيوفه حتى يحجز فيه طاولة لهما.

لم تكن فين تريد أن تلتقي عيناها بتلك العينين الرماديتين، بينما كانت لا تزال تنتظر أن يحضر النادل الشراب إلى طاولتهما، ليصل لاحقاً مقاطعاً حديثهما. وبعد قليل عندما أحست أن أليكس لم يكن مهتماً بها وحدها، نظرت إلى حيث يجلس سول أكرمان وضيوفه المميزون.

كانت فيستافين على نفس القدر من الجمال الذي كانت تبدو عليه خلال تمثيلها على المسرح، ليزيد من جمالها ذلك الرداء الأبيض المصنوع من قماش الساتان الذي ترتديه، وقد أسرت جيثرو تامبلين بحديثها المرح. أما المؤلف فقد كان متكئاً على الطاولة مكتوف اليدين، يستمع بكل جوارحه إلى كل كلمة تقال. وقد بدا وكأنه قد أمضى ساعتين على الأقل يداعب شعره الكستنائي الأشعث وعلى عكسه، فقد بدت زوجته بثوب تقليدي، تنظر بعينيها الزرقاوين الذابلتين إلى زوجها المشهور. وراحت تتساءل في نفسها إذا ما كان يجب عليها أن تتزوج ذلك الفتى من قريتها وهو ليس سوى كاتب معدم حتى يتركها بعد زمن؟ هل كانت تتحمل ظروف شهرته؟

كانت تدرك أن هذه التساؤلات لا جدوى منها، لذلك نظرت بتردد إلى رأس الطاولة لتجد سول اكرمان أسيراً لحديث الممثلة كما هو الحال مع جيثرو. وما ان التقت عيناها تلك العينين الرماديتين حتى احمر وجهها بسبب النظرة الثاقبة التي رأتها في عينيه.

حوّلت نظرها سريعاً محاولة التقاط نفسها بطريقة طبيعية ثم أرخت رأسها ليلامس القرطان اللذان كانت تضعهما في أذنيها رقبتها، لكنها قاومت فكرة نزعهما. فقد كانت تضع زوجاً تقليدياً من الأقراط ليخفف من غرابة تصفيفة شعرها. فقد كان شعرها قصير جداً في الجهة الخلفية لرأسها وطويلاً من الأمام ليغطي حاجبيها.

رفع أليكس أحد حاجبيه وقال: «حسناً؟ هل لوحظ وجودنا؟»

أخفت فينيللا معالم القلق التي اعترتها، ثم نظرت إليه وابتسامة نكية مرسومة على وجهها، وقد جعلت الأضواء الخافتة المتقطعة كتفي فين تلمعان كلمعان قطعة الساتان التي تنسدل فوق ثوبها الحريري الأسود الأنيق. ثم انحنت إلى الأمام وقالت بهمس: «أجل. لا أعتقد ان هناك أحداً، حتى ولو كان سول اكرمان، لم يلاحظ جمال بروفيلك!»

قال غير متأثر بتلك المجاملة: «لا بأس. إن هذا الوغد يعرفني جيداً! أنا أريده أن يراكِ أفت، يا فين. أريده أن يتأكد من معرفتك عندما يراك ثانية.»

حوّلت نظرها لا شعورياً إلى حيث يجلس سول فخُطفت أنفاسها. حتى رموش عينيها الكثيفة لم تستطع منعها من رؤية تلك العينين الرماديتين تحدقان بها. فقد كان سول اكرمان مسترخياً على كرسيه، دون أن يحاول المشاركة في الحديث، وأصابع احدى يديه تلامس كوب العصير بينما كان يحدق بها.

أحست فينيللا بقلبها يخفق بسرعة، فحوّلت نظرها إلى أليكس. يبدو أن ماكان يتمنى حدوثه قد حدث، إذ ان اكرمان

سيتعرف إلى فين إذا ما رآها مرة أخرى. أحست بشعور غريب يخالجها، فقررت عدم النظر إلى سول، واستطاعت بصعوبة أن تمازح أليكس وأن تعبّر عن فرحها لوصول تلك الوجبة الشهية التي كانت تنتظرها.

وراحت توبّخ نفسها قائلة ان ما يفعلان لا فائدة منه وان هذا هدر لأموال جين. فهي لم تكن تعرف ما بالها. إذ انها لم تكن تعتقد ان تلك النظرات من رجل غريب قد تفقدها شهيتها.

«ألن تعرّفني إلى رفيقتك، يا أليكس؟»

لم يكن على فينيللا أن ترفع عينيها لتنظر إلى من يقف قرب طاولتهما لتعرف من يتكلم. فقد كان الصوت ينضح ثقة بالنفس وحزماً. وبدأت أصابع يدها التي تحمل الشوكة بالاهتزاز، فوضعتها برفق بينما قام أليكس بدفع كرسيه إلى الوراء بسرعة وانتصب واقفاً.

«سول، يا لها من صدفة! لقد رأيتك في المسرح، فقد كنت هناك لأتابع عمل فريق تصوير فيجن وست فقط...» وقد بدا الارتباك على وجهه جلياً، اهتزت ابتسامته الواثقة، واحمر وجهه فجأة. وقد حاول جاهداً أن يفرد كتفيه ويحسّن وقفته، الأمر الذي لاحظته فين وجعلها تقلق بشأن أليكس من شدة حبها له.

قالت فينيللا في نفسها مغتاظة ان اكرمان لم يكن في حاجة لتحسين هيئته الحالية بأي شكل. إذ انه لم يكن هناك أي من علامات البدانة ظاهرة على جسمه القوي البنية.

رفضت أن تحرك ساكناً بسبب تلك العينين اللتين كانتا تحدقان بها. وفي رأيها هو خالي القلب من الرحمة، التفهم والعطف. إنه الرئيس الفخري لمحطة تلفزة وحقق مؤخراً

النجاح لفيجن وست وقد مُنح أكثر مما يستحق. فامبراطوريته حتى الآن تتألف من مؤسسة طباعة ونشر، خط اتصالات جوية، لقد نسي معنى الرحمة ـ إن كان عرف معناها لحظة واحدة ـ وعلى استعداد لتحطيم المسكين أليكس دون أي تفكير.

«كيف تقيّمين عرض الليلة، يا آنسة؟» ثم رمق أليكس بنظرة باردة، منكراً إياه بالمقدمة الملغاة. إذ لا أحد، خاصة من الذين يدعوهم المساعدين، التزم بأوامره.

«فينيللا فلامينغ... إنها ابنة أختي.» وبعد ان أنهى كلامه، احمر وجهه وراح ينقل ثقل جسمه من قدم إلى الأخرى. ولو حاول أن يبدو أكثر ارتياحاً مما هو عليه لما استطاع. ثم تابع قائلاً: «فين، عزيزتي أقدم لك...»

فقالت مقاطعة: «أعرف من هو يا عزيزي.» وقد بدا الاستخفاف في نبرة صوتها وفي بريق عينيها اللتين أخبرتاه بأنها غير مهتمة، لتحبس بعد ذلك أنفاسها للحظات عندما رأت الاستهزاء في تلك العينين الرماديتين الحانقتين، ليردد بعد ذلك ما قاله أليكس.

«ابنة أختك؟ بالطبع... من يمكنها أن تكون غير ذلك؟»

وهذا يعني بالطبع أنه لم يصدق ما سمعه ولو للحظة واحدة.

فرمقته بنظرة مدافعة وقالت: «لقد أعجبنا العرض كثيراً، أليس كذلك يا أليكس؟» وتمنت ان يجلس ويتوقف عن التنقل من قدم إلى أخرى. لكن ربما لا أحد يجلس في حضور الرئيس! وقد سجلت ذلك في ذاكرتها كي تسأله عن هذا الأمر لاحقاً. ثم جفلت عندما سمعت ذلك الصوت.

«إذاً، لِمَ لا نتناقش في هذا الموضوع؟ انضما إلى ضيوفي لتناول فنجان من القهوة وسأعرّفكما إلى المؤلف وإلى فيستا.»

فقالت فين في نفسها ان سول لم يأتِ على ذكر زوجة المؤلف. وهذا يدل على انه لا يتعامل إلا مع أشخاص ينتمون إلى الوسط الاجتماعي الذي ينتمي هو إليه.

«ربما مرة أخرى.» ثم وقفت فينيللا ببطء، وهي لا تزال تنظر إلى أليكس الذي كان على وشك الموافقة على دعوة سول، لكنها لم تستطع حتى ولو لأجل أليكس أن تمضي دقيقة واحدة بعد برفقة اكرمان. فرفعت أحد حاجبيها لتغطيه خصال الشعر البنية. وتابعت قائلة: «لقد حان وقت خلودنا إلى النوم، أليس كذلك يا عزيزي؟» ثم ابتسمت وقالت: «استأذنكما لبضع دقائق كي أذهب إلى حجرة الزينة.» وقبل أن تخونها شجاعتها، نظرت في عيني سول المحدقتين وقالت: «سررتُ بلقائك يا سيد اكرمان.»

توجهت فين إلى حجرة الزينة في مؤخرة المطعم، سالكة طريقها إلى هناك عبر طاولات الحضور، وما كان يزعجها أنها كانت متأكدة من أن عينيّ سول كانت تلاحقانها في كل خطوة.

دخلت إلى حجرة الزينة وأغلقت الباب خلفها بهدوء، وأسندت ظهرها إلى الحائط ويداها على قلبها السريع الخفقان.

إذ ان ما بدا باستخفاف، انتهى هذه الليلة بطريقة مختلفة، طريقة لا تستطيع تسميتها ـ حتى ولو أرادت ذلك. فقد كرهت هذا الرجل من اللحظة التي عرفت فيها ما يدبره

ضد أليكس. لكن رؤيتها له ولقاءها به أثرا بها أكثر مما كانت تتوقع.

اقتربت بعد ذلك من المرآة وهي ترتجف، وقامت ببعض التعديلات في زينتها. إن سول اكرمان لم يكن بالنسبة لها سوى رجل تحتقره، فقد كان ينوي الغاء برنامج أليكس، أن يجرده من احترامه لذاته وأن يرمي به في المجهول.

لذلك فإن كرهها له لهذه الدرجة أمر طبيعي. وقد كان ذلك الإحساس بالكره الشديد أمر لم تجربه من قبل. إذاً لا عجب من أن له هذا التأثير الغريب عليها!

عندما أحست بالارتياح، وضعت اصبع أحمر الشفاه في محفظتها وأطبقتها. وقد أحست أنه كلما أسرعت وأليكس في الخروج من هذا المكان، وأصبحا في المنزل يتحدثان عن كل ما جرى الليلة، كلما كان أفضل.

وبينما هي تسير عبر ذلك الممر المفروش بالسجاد الفاخر، عادت أدراجها بسرعة عندما رأت اكرمان ينتظرها.

نظرت إليه محاولة أن تُفهمه أنها عرفته وتابعت سيرها بعد أن قررت تجاهله. لكنه تحرك من مكانه، حيث كان يقف متكئاً على الحائط، فانحبست أنفاسها، إذ ان مسافة صغيرة كانت تفصل بينهما.

تساءلت في نفسها كيف تجرأ واعترض طريقها؟

قال بنبرة متهكمة: «هل من طبعك أن تكوني فظة مع الغرباء؟ أم انك هكذا معي فقط؟»

فقالت: «لا أفهم ما تعنيه.» ثم تابعت قائلة: «دعني أرجوك، أنت تزعجني.»

«لا أظن ذلك.»

راح يمعن النظر إليها فأدارت رأسها بسرعة وهي تتأمل ذلك الممر الخاوي من المارة آملة أن يقبل بعض الحضور نحو حجرة الزينة.

«ماذا تريد؟» وحاولت أن تبدو متماسكة وكأنه مهما قال لن يقنعها، وسمعته يضحك ضحكة لم تتوقعها وللحظات فقط، دُهشت لما قاله.

«أولاً، أريد أن أعرف من أنت، ثم هناك كثير من الأمور التي يمكنك اخباري عنها، لكن يمكنك تأجيل ذلك.»

كانت غرّتها تغطي عينيها، الأمر الذي جعل تحديقها في عينيه أمراً صعباً.

«أنت تعرف من أنا. خالي...» فتلعثمت عند قولها هذه الكلمة، لكنها سرعان ما عادت تقول: «لقد عرّفنا أليكس إلى بعضنا. وإذا لم يكن لديك أي مانع، أليكس في انتظاري. أنا...»

قال بنبرة حادة وعيناه تلمعان: «بالطبع لديّ مانع. فأنا لم أصدق ما قاله. أتظنينني أحمق؟ أضف إلى ان رفقة فتاة جميلة شابة لنجم شعبي عجوز لا تفرحني.»

«أنت رجل فظيع! خال... أليكس في قمة تألقه! النجوم لا يتقدمون في السن.»

«إنه موهوب جداً، ومعروف في كل مكان. كل ما يحتاجه هو استخدام هذه الموهبة في حلة جديدة، لكنك لا تستطيعين إدراك ذلك!»

اقتربت وهي تلهث بقوة، وكأن اقترابها من هذا الرجل يخنقها. فهي لم تواجه خلال حياتها كلها رجلاً بهذه القوة،

أحست بأن قوته هذه كانت تنضح منه لتتسرب إلى داخلها.

لكنها لم تكن لتستسلم لذلك بسهولة، فقالت غاضبة: «فيجن وست ليست محطة التلفزة الوحيدة على الأرض. وليس هناك ما يمنعه من المتابعة والتقدم... والذهاب للعمل مع من يقدّر ما يقوم به!»

قال مبتسماً: «ما كل هذا الوفاء. أنا أحسد الرجل الذي تكنين له ذلك.» وارتسمت علامات غامضة على وجهه وفي عينيه عندما رمقها بتلك النظرة قبل أن يتركها ويذهب.

وضعت فينيللا يدها على فمها ونظرت بعينين مضطربتين إلى باب المطعم الخلفي يُغلق بعد مرور سول. لقد قضت على كل أمل مهما كان ضعيفاً في أن يتابع أليكس برنامجه! فبسبب انفعالها حسمت أمر ايقاف برنامج أليكس الذي كان وارداً منذ أن تسلم سول اكرمان الإدارة!

أما الآن، فإن الاعتذار مهما كان لن يجدي نفعاً. فقد جعلت اكرمان يحسم الأمر الذي كان يراوده. وكل ما فعلته هو دفعه لتنفيذ الخطوة الأخيرة.

لم تكن تدري بأي طريقة ستخبر أليكس بما فعلت.

الفصل الثاني

قالت فينيللا بنبرة آسفة بعد ان استقلا سيارة الأجرة التي توجهت نحو هامبستيد: «أنا آسفة، إذ أنك كنت تريد الانضمام إلى طاولة اكرمان.»

لم يتفوه أليكس بكلمة واحدة منذ ان خرجا من المطعم، وبسبب رفض فين لدعوة رئيسه في العمل، فقد شعر بندم شديد لأنه استمع لنصيحة جين حول هذا الموضوع.

قال أليكس متنهداً: «لقد كان ذلك رائعاً! لقد تصرفنا تماماً كما يجب، طوال السهرة، لكنني أعتقد أننا لو قبلنا دعوته لكان الأمر يستلزم منا مزيداً من الشجاعة كي نجالسهم ونحادثهم.»

«اعتقد أنك على حق.» ثم استرخت على المقعد، لكن ذلك لم يخفف من استيائها، إذ أن أليكس لم يعرف ما حدث في الممر وهي لا تعرف كيف تخبره ذلك.

قال بصوت متعب لكن مستهزىء: «لقد حققنا ما نريده... وستقوم إحدى الصحف الرخيصة بنشر تلك الفضيحة في الصفحة الأولى. وساكون مشهوراً... أو بالأحرى، مشهراً به... لمدة خمس دقائق. أضف إلى أن اكرمان رآنا معاً. هذا يعني أن الرجل العجوز الذي كان الأول في اجتذاب النساء لشدة جاذبيته قد استعاد جزءاً من تلك الشهرة. وكما يقولون، للصيت السيىء حسنات. لقد اعتقدت ان جين مجنونة لدى عرضها هذه الفكرة. لكنني أعتقد أننا كنا اكثر جنوناً عندما نفذنا هذه الفكرة.»

حافظت فينيللا على صمتها لأنها لم تستطع مناقشة هذا الموضوع. لكن، ما أن وصلا إلى الشقة التي اشترتها جين ببعض النقود التي ورثتها عن والدها، حتى أسدلت الستائر في غرفة الجلوس، ثم صبت لخالها كوباً من العصير، وأشارت إلى حيث الهاتف.

«اتصل بها الآن، فلا بد أنها تتحرق شوقاً لتعرف كيف جرت الأمور. أراهنك أنها قابعة في أيدنبرغ مقتنعة تماماً أننا لم نتجرأ على القيام بفعل أي شيء لأنها لم تكن موجودة معنا لتتأكد من العكس.»

خلعت بعد ذلك حذاءها، وقالت لخالها عمت مساءً ثم توجهت إلى غرفتها، واثقة من أن التحدث إلى زوجته سيريحه. فهي تكره أن تراه متضايقاً إلى هذا الحد. فكرت في الاثنين معاً لتكتشف انهما في بعض الأمور أقرب إليها من والديها. الأمر الذي جعلها تشارك في تنفيذ هذه الخطة الطائشة... رغم عدم اقتناعها.

تميزت حجرة نوم الضيوف بطابع الأناقة التي أضفته جين عند شرائها أثاث هذه الشقة. فقبل ستة أعوام، عندما وقع خالها أليكس العقد لعرض برنامجه (أمسيات مع أليكس) لمدة ساعة... وهو عبارة عن بعض اللقاءات الطريفة بالإضافة إلى أخبار المشاهير من مختلف أنحاء العالم، وبعض المقاطع الكوميدية وست من أغانيه الخاصة التي يؤديها بطريقة لا يمكن لأحد تقليدها... اشترى أليكس وجين منزلاً في اطراف منطقة تافيزتوك ليكون قريباً من الأستديو في بلايموث.

لكن أليكس افتقد حياة لندن، وعندما تسلمت جين إرثها

اشترت هذه الشقة، التي سكنا فيها عندما لم يكن لديه تصوير في الاستديو.

كانا مخلصين لبعضهما، وقد كان ذلك واضحاً. وهذا، حسب قول جين يخفف من حجم المشكلة، فالجمهور يراه على أنه كهل لم يظهر في أي مكان إلا برفقة زوجته العجوز. لكن إذا رأوه الآن برفقة فتاة جميلة شابة في مقهى ليلي فلربما يسترجع بعضاً من شعبيته النسائية التي كانت تشاهد برنامجه ويعرفون أنه لم يفقد جاذبيته التي لطالما أثارتهم!

قالت فينيللا موبخة نفسها انه لربما كانت نجحت تلك الخطة، لو لم تفسد هي الأمر بطريقة كلامها مع سول أكرمان. ثم سمعت طرقاً على باب غرفتها.

قال أليكس مبتسماً: «لقد سرت كثيراً لنجاحنا!» وقد بدا مرتاحاً ومنتعشاً فهو يفتقد زوجته إذ أنهما لم يفترقا أبداً ولو لليلة واحدة طوال حياتهما الزوجية.

عندما أصرت جين على أن تذهب لزيارة والدتها العجوز في أيدنبرغ... وحدها... تاركة له الشقة ليتصرف بحرية، رفض أليكس الفكرة جملة وتفصيلاً، فهي كانت لتفعل أي شيء كي تعيد اليه بسمته.

«حسناً كيف حال والدتها؟» فقد التقتها فين مرة واحدة، منذ عدة سنوات، وهي كما تذكرها ذات شكل مخيف، ويبدو أنها لم تتغير مثلما فهمت من أليكس عندما سألته.

«ما زالت ترفض بشدة كالعادة أن تنتقل للعيش معنا، فهي تصر على أن صغيرتها الزبيث تستطيع الاهتمام بها. و «صغيرتها الزبيث» قد تجاوزت الثمانين من

عمرها!» ثم تابع بغضب: «هل سمعت مرة عن مساعدة الأعمى لأعمى آخر! لكن لا بأس، فقد اخبرتني جين بما يجب أن نقوم به، والأماكن التي علينا أن نظهر فيها. هل تريدين التحدث عن ذلك الآن، بينما نشرب فنجاناً من شراب الشوكولا الساخن، أو تفضلين ان نؤجل هذا الحديث الى صباح غد؟»

فقالت وابتسامة واهية على وجهها: «أفضل تأجيل ذلك الى الغد.» فهي تظن أنهما مهما فعلا، فإن ذلك هدر للوقت وبلا جدوى، وذلك بسبب ما قالته لآكرمان هذه الليلة، لأن برنامج أليكس أصبح ملغىً... مهما حصل! لكن ليس هناك من حاجة لمضايقته بقولها هذا. فالغد ليس ببعيد.

دخل أليكس إلى المطبخ فرحاً وفي يده عدد من الصحف وقال: «لقد نجحنا، يا عزيزتي!» ثم وضع إحدى الصحف على الطاولة وأشار إلى صورة الصفحة الأولى وقال: «هذه الصورة تكفي!» ثم سأل: «هل لي بمزيد من القهوة؟»

قالت مرتبكة: «هناك الكثير.» فهي عندما قامت من سريرها قبل نصف ساعة، كان الهدوء يعم المنزل، الأمر الذي جعلها تظن أن خالها نائم فجلست إلى طاولة المطبخ، تشرب القهوة وتفكر بطريقة تخبره بها ما جرى بينها وبين رئيسه أمس.

رغم أن ذلك كان صعباً، خاصة بعد أن رأت كم هو فخور بنفسه، ومسرور لأن خطة عودته إلى الأضواء تسير تماماً كما يريد.

«حسناً... ألن تقرأي ما كتب؟» ثم سحب كرسياً وجلس في الجهة المقابلة لها، وهو يمسك فنجان القهوة بإحدى

يديه، وابتسامته الجميلة وشعره البني الأشعث يذكران فينيللا بجاذبيته المحبوبة أيام شبابه.

قامت بأسى شديد بقراءة ما كتب في تلك الصفحة. حروب، اختلال في ميزان القوى، وأخبار آخر ما توصلوا إليه في صنع القنبلة النووية، لكن ما غطى الجزء الأكبر من هذه الصفحة هو صورتها وهي تضع وجهها على كتف أليكس لتخفي ابتسامتها الماكرة، وفوق الصورة تعليق يقول: «كان ومازال!»

«لماذا كل هذه الدهشة!» ثم ابتسم وأخذ منها الصحيفة وقرأ بلهفة هستيرية: «أليكس فيربورن. صاحب أشهر برنامج تليفزيوني سيلغى... أو كما تقول الشائعات... ظهر أخيراً في أحد مطاعم لندن الفخمة برفقة فتاة جميلة، كما كان حاله منذ زمن بعيد. تلك الفتاة الجميلة التي رفضت بخجل أن تصرح عن اسمها او وظيفتها، لربما استطاعت زوجته أن تعرفنا عن هذه المرأة المجهولة؟ لكن مسكينة جين العجوز، فهناك أخبار تقول أنها أبعدت إلى أقاصي سكوتلاندا الخضراء. هل ذهبت بمحض إرادتها، أم أنها اجبرت على ذلك؟»

فتمتمت فين قائلة: «تباً! (امرأة مجهولة!) كيف يمكنك تحمل ذلك؟ لكن زوجة خالي لن يعجبها قراءة (مسكينة جين العجوز).»

فقال معترضاً على ما قالته: «بل ستحب ذلك. ومنذ متى تنادينها زوجة خالي؟»

قالت فين انها منذ أن عرفتها وهي تناديها كذلك. أليس هو الأخ الأصغر لوالدتها، ولطالما اعتبرتهما أخاً وأختاً

أكبر منها. وذلك ليس بسبب عمرهما، بل بسبب قدرتهما ورغبتهما اللامتناهية للاستمتاع بالحياة. إنهم أشخاص دائمو التفاؤل طالما يستطيعون أن يرسموا خطة كهذه، الهدف منها انتشار الشائعات... بالاضافة إلى تلميح شبه مؤكد من سول آكرمان شخصياً... أن برنامج أمسيات مع أليكس سيلغى. بالإضافة إلى الخبرة في العمل.

والآن كان عليها، وهي التي وعدته المساعدة، أن تخبره بأنها أفسدت كل شيء!

قال بينما كان يصب القهوة لكليهما: «سنذهب اليوم إلى مطعم تينكرز. أنت لم تسمعي به من قبل... منذ متى لم تأتي إلى لندن؟ لكنه أهم مطعم في هذه الأيام.» ثم تابع بمرح شديد: «إن الصحفيين دائماً هناك، في انتظار أي حدث ليكتبوا عنه. فمنذ بضعة أسابيع ظهر أحد أفراد الأسرة الملكية برفقة سيدة معروفة، فقام أحد الصحفيين الموجودين هناك بسبق صحفي تلك الليلة حين كتب عن هذا الحدث. ومنذ ذلك الوقت هناك دائماً من ينتظر حدوث أي أمر ليحوله إلى فضيحة في اليوم التالي.» ثم دفع بكرسيه إلى الوراء وقال: «والآن، ماذا لدينا للفطور؟»

قالت بأسى: «مهلاً، هناك أمر يجب أن تعرفه.» كانت تشعر بذنب كبير لأنها خذلت أليكس وجين. لكن فكرة ظهورها برفقته لإرجاعه إلى الأضواء لم تعجبها، فهي وافقت عندما رأته، وبعد أن شرحت له جين الخطة، متحمساً جداً كما كان حال زوجته، مقتنعاً أن فين هي الفتاة الوحيدة المناسبة... فهي أحد أفراد عائلته وجديرة بالثقة.

«حسناً؟ ماذا عليّ أن أعرف؟»

«لقد تشاجرت مع آكرمان الليلة الماضية، عند الممر الخلفي للمطعم بعد خروجي من حجرة الزينة. فقد اتهمني بالفظاظة لأنني رفضت دعوته حين دعانا للانضمام إلى ضيوفه.» ثم نظرت في عينيه بأسى وقالت: «وهو محق، لقد كنت فظة. فغضب، واتهمته بسوء تقدير الأمور وقلت له انه ليس هناك ما يمنعك من العمل مع محطة تلفزة أخرى حيث تمنح التقدير اللازم. أنا آسفة إذا كنت قد أفسدت كل شيء.» أخفضت رأسها وتابعت: «فهو لم يبد لي كذلك النوع من الأشخاص الذين يتأثرون بالفظاظة أو الانتقاد. سيكون في صندوق بريدك غداً تبليغ ينص على ان عقد عملك لن يتجدد. لذلك فإن الاستمرار في تنفيذ هذه الخطة...» وأشارت إلى الصورة باصبعها مشمئزة وقالت: «... سيكون هدراً للوقت وللجهد.»

كان لا يزال هناك حلقتان مسجلتان للعرض قبل نهاية المرحلة الأولى، والمشاع أنها الأخيرة. وسيكون قلقاً جداً ليرى ما إذا كانت هذه الضوضاء الاعلامية حوله ستوقف الانخفاض الشديد لعدد مترقبي برنامجه. إستأنفت فين بعد هذا الصمت حديثها قائلة: «لن يكون هناك ما يغير الموقف بعد ما قلته، كذلك فإن إثارة الجمهور برؤيتك برفقة فتاة شابة تبدو كإبنتك لن تغير شيئاً.»

كانت فين قد قالت أكثر من ذلك عندما طلبت منها جين المساعدة في بادىء الأمر، لكن ما ان أقنعته ببدء الخطة حتى لم يعد أمامها أي مجال للتراجع وإحباط عزيمتهما.

وقالت في نفسها بيأس شديد انه لن يكون هناك الآن ما يحبط عزيمته عندما سمعته يصرخ: «هراء!» ليبدأ بعدها

بتحضير الفطور. فالحديث المنشور في صحف اليوم قد جعله مشهوراً مرة ثانية، فقد أصبح، من جديد، مثاراً لاهتمام النساء اللواتي كن يزاحمن بعضهن ليوقع لهن الأتوغراف.

«سول أذكى من أن يجعل فتاة ثائرة مثلك تؤثر على قراره. لكنه تفاجأ بالطريقة التي تصرفت بها معه. إذ أنه معتاد على خضوع الفتيات له وليس ثورتهن عليه. وأنا أراهن على أنك الفتاة الأولى التي ترفض دعوته!»

فردت فين بصوت واهن: «حسناً، إن كنت تظن ذلك.» ربما يكون أليكس خالها لكنها في هذه اللحظة تشعر أنها جدته. وفي محاولة منها لكتم غضبها، بدأت بتحضير الطاولة بينما كان يقوم أليكس بتحميص الخبز وخفق البيض، لتقوم هي بذلك عندما رن جرس الهاتف وتوجه أليكس إلى غرفة الجلوس للرد على الهاتف، وقد كانت لا تزال تخفق البيض ببطء عندما عاد إلى المطبخ وهو يفرك يديه ببعضهما.

قال: «أما قلت لك؟ لقد كان سول يتكلم... وليس سكرتيرته، أؤكد لك أنه الرئيس بذاته. لقد طلب مني أن أحضر الافتتاح غداً مرتدياً أفخر ما عندي من ثياب. وأنت، عزيزتي فين، الطلب موجه إليك أيضاً بالحضور. فقد قال لي حرفياً: «أحضر إبنة اختك.» ثم اقترب منها وداعب شعرها بحنان. قام بعد ذلك بسحب المقلاة عن النار وقال: «فين، يبدو البيض قاسياً كالمطاط!»

حتى إفسادها لطعام فطوره لم يستطع أن يمحو ملامح الفرح عن وجهه، وقد شعرت أنها لا تفعل شيئاً سوى إفساد

أموره حين قالت: «سول لا يصدق أنني إبنة أختك.»

«بالطبع لا يصدق. ولا يجب عليه أن يصدق، لا؟ لكنه لايزال يصر على حضورك معي غداً.»

أرادت أن تسأله عن السبب لكنه لم يكن ليعجبها الجواب... على أساس أن أليكس يعرف السبب، لكنها كانت تشك في معرفته له. فسألته: «ما هو يوم الافتتاح هذا؟ هل هو مناسبة مهمة؟»

توقف عن تناول الطعام، واسند ظهره إلى الكرسي وابتسم قائلاً: «إنه أجمل خبر سمعته منذ ستة أشهر، يا عزيزتي! سيكون جزء من مركز البث مفتوح أمام المشاهدين للقاء مقدمي البرامج والفرق العاملة في الكواليس. إنه أمر يحدث كل عام. لكن الإدارة الحكيمة، هذا العام، قررت إقامة حفلة في حديقة المحطة، وذلك بإرسال بطاقات دعوة أنيقة مذهبة، تستعرض أسماء الممولين والمعلنين، بالإضافة إلى اسماء بعض المشاهير. إذ أن مشاركة عدد من المشاهدين... الذين دخلوا مسابقة دامت ثلاثة أشهر فاز منهم خمسة وعشرون وتسلم كل منهم بطاقتي دعوة. دون أن ننسى الممثلين، ومؤلفي أفضل البرامج التي ننتجها في محطتنا. لم يطلب مني المشاركة. غير أنه حصل ذلك اليوم! إن ذلك يقع ضمن إطار العلاقات العامة... سيجعلهم يشعرون وكأنهم جزء من العاملين في المحطة. هذا بالإضافة إلى منح المعلنين المدعوين أهمية كبرى.»

قالت مبتسمة: «وأنت!» أحست فين براحة نفسية لدى رؤيتها أليكس مرتفع المعنويات رغم ما فعلته مع سول.

أجاب وفي عينيه الزرقاوين بريق غريب: «بكل... تأكيد! هل لك أن تنسي ما حصل، يا فين؟ سأتصل بجين وأنقل اليها هذا الخبر السعيد. إن الأمور تسير على خير ما يرام. آه، و...» وما أن وصل إلى عتبة الغرفة حتى عاد ثانية وقال: «... سنضطر لإلغاء سهرة الليلة في مطعم تينكرز للأسف، لكننا لا نستطيع فعل شيء حيال ذلك. سنتوجه بعد ظهر اليوم إلى تافيزتوك لقضاء اليوم والاستعداد لنهار غد المميز. إختاري ثوباً أنيقاً لترتديه نهار غد.»

كان رداؤها الحريري الأحمر أنيقاً، وقد كانت تنظر إلى نفسها على أنها الهدية التي قدمتها جين إلى أليكس في عيد ميلاده الأخير.

كانت راضية بالدور الذي ستؤديه في أول ليلة يظهران فيها سوياً في المسرح ومن ثم في المطعم. لكنها ولسبب غير مفهوم لم تعد تريد ان تؤدي دور المرأة الفاتنة. لذلك فقد اختارت ثوباً طويل الكمين مضيفة إليه حزاماً يلتف حول خصرها بإحكام.

هذا بالإضافة إلى قبعة حمراء مصنوعة من القش مزينة بورود كبيرة مصنوعة من الحرير الأبيض. وعندما خرجت من غرفة الضيوف في منزل والدة جين في تافيزتوك، جفلت عندما قال أليكس، الذي كان يبدو في غاية الأناقة: «تبدين رائعة!»

قالت في نفسها أنه قال ذلك بسبب القبعة، دون التفكير في ما سيحصل في ذلك اليوم ولو للحظة.

قال أليكس مؤكداً لدى انعطافه لسلوك طريق فرعية: «لا تنسي أن تبقي إلى جانبي، فأنا أشعر بأنني

سأطير. وسأحتاجك لتمسكي لي يدي لهذا السبب فقط.»

لاحظت فين ظهور بياضٍ حول فمه عندما نظرت إليه بطرف عينيها بينما كان يقود السيارة سالكاً طريقاً مزينة بشجيرات ملونة. لقد كان هذا اليوم رائعاً كروعة احد أيام الصيف الانكليزي، وكل شيء كان يسير كما هو مرسوم، إذاً لماذا يبدو القلق عليهما؟

«أشعر بانفصام في شخصيتي. فأنا تارة أشعر بأن ما يحدث شيء رائع... خاصة عندما أحصل على نتيجة ترضيني... وتارة أتمنى لو أننا لم نقم بتلك المشكلة، يا فين، انني لا استطيع أن اتقبل فكرة كسب رزقي من العمل في حقل الاعلانات.»

كان سيخبرها بأنه لا يحتاج للعمل إطلاقاً، فثروة جين تمكنهما من العيش برفاهية بقية عمرهما، غير أنها كانت قد فكرت في ذلك من قبل إذ أن جين تحب أليكس كثيراً ولن تبخل عليه بأي شيء... بدليل إغراقها له بالهدايا. لكن كبرياءه تمنعه، فإعالته لنفسه ولزوجته أمر مهم بالنسبة له.

قال بهدوء: «لكننا لن نصل إلى أي مكان إذا تراجعنا الآن. وستقتلنا جين إن فعلنا ذلك.»

لقد تصورت فين أن الحفلة ستقام في إحدى الحدائق القريبة من مراكز التصوير في المحطة، وقد زاد من قلقها ما علمته، أن بلدة سول آكرمان هي مكان إقامة الحفلة، بالإضافة إلى تلك اللحظة التي أدركت فيها أنه ليس هناك من مجال للتراجع، وليس هناك من مجال لتغيّبها عن الحفلة.

قالت في نفسها ان الأمر يبدو وكأنه أمر غريب، عندما

اجتازا الطريق المزينة بالشجيرات ليبدو أمامهما جدار عالٍ ولتفتح بعد ذلك بوابتان حديديتان ضخمتان فيظهر رجال باللباس الرسمي ويطلبون منهما التوجه إلى المكان المحدد لوقوف السيارات.

كانت هناك عربات بيضاء تنقل مصوري محطة فيجن وست إلى اماكن مختلفة من مكان الاحتفال حتى يتمكنوا من نقل الحدث مباشرة خلال نشرة الأخبار المحلية المسائية. كذلك فقد لاحظت فين العديد من الإشارات الكهربائية الفخمة، الأمر الذي يعني أن كل شخص موجود في الحفل هو شخص مهم، مما زاد من توترها.

راحت تتساءل في نفسها لماذا غير سول اكرمان رأيه ودعا أليكس في اللحظة الأخيرة؟ ألم يكن في استطاعته أن يمنح نفسه المزيد من الوقت ليفكر في تحويل عمل أليكس إلى حقل الاعلانات بعد قراءته ما كتب في صفحات الصحف الأولى؟

أحنت رأسها حتى تستطيع الخروج من السيارة وركزّت وضع القبعة على رأسها، متمتمة أنها لم تكن معتادة على وضع أي نوع من الزينة على رأسها، فهي تشعر أن شكلها مضحك وهي تعتمر تلك القبعة. ثم توجهت نحو أليكس الذي كان يعطي مفتاح السيارة إلى حراس الموقف، فنظرت إليه بعينين حذرتين وقالت: «لا أريد أن أفسد عليك شعورك بنشوة الفرح في هذه اللحظة، هل فكرت للحظة لماذا نحن هنا؟ فنحن لم نفكر أبداً باحتمال أن يكون اكرمان مغتاظاً مما قرأه في الصحف... ربما لا يريد أن يعين موظفاً شوهد في العلن يخون زوجته، لربما كنا بفعلنا

ذلك نعرض أنفسنا لسخط الجماهير. هل فكرت في ذلك؟»

«أجل.» ثم ملس شعره بيده وقال: «إنه مجرد إحتمال، إحتمال غير وارد حصوله. فالشهرة هي اسم لعبتنا، إضف إلى ذلك أنه ليس مترفعاً عن ذلك. إذ أنه نادراً ما شوهد مع المرأة ذاتها مرتين. أياً يكن، لا أظن أنه منافق.»

«هل هو متزوج؟» ثم غرست كعب حذائها في الحشيش الذي يغطي الأرض ولسبب قوي ولكن غير مفهوم، شعرت أنها في حاجة لمعرفة المزيد عن هذا الرجل، ربما من قبيل (اعرف عدوك).

«كان متزوجاً.» ثم رمقها بنظرة متلهفة وتابع قائلاً: «لكن زواجه انتهى بسرعة. فقد كان متورطاً بعلاقة أخرى... لطالما كانت هذه العلاقة الثانية موجودة خلال فترة زواجه القصيرة. هيا بنا، يا فين!»

تواصل توافد الزوار إلى المكان، وظهر المزيد من الأشخاص بأزياء وهيئات مختلفة. اقتربت فين من خالها وتوجها نحو مدخل مزين بشجيرات حمراء. وقد أظهر رداؤها الحريري الأحمر رقتها وجمالها.

استطاعت فينيللا أن تعرف كل ما تريد معرفته عن ذلك الرجل من حديثها مع أليكس، الأمر الذي جعلها تكرهه أكثر من قبل. ففي رأيها أن زوجته هي التي تخلصت منه، فقد تكلم أليكس عن إنهاء الزواج... وهذا يعني الطلاق. ذلك لأنه لم يستطع مقاومة النساء الأخريات؟

لم تستطع فين أن تفهم لماذا تريد أي امرأة واعية ان تتزوج. لماذا تضع نفسها في موقف تعتمد فيه سعادتها على حسن طباع وإخلاص رجل ما؟ لكنها لن تتنازل عن

استقلاليتها لأي كان، فهي تعرف ما فعله ذلك بوالدتها، وبالتالي، بها هي. وسمعت ما يكفي من قصص الزيجات الفاشلة، الأمر الذي يجعل أي امرأة حساسة تخاف من الاقدام على الزواج.

فهي تفضل أن تبقى حرة وغير مرتبطة، امرأة مستقلة لا تستجيب لرغبات أحد سوى رغباتها.

صرخ صوت في داخلها «فين!» فعادت تجول بنظرها عما يحيط بها. وراحت تنظر إلى ذلك النادل الذي يحمل صينية ملأى بأكواب العصير. وبعد أن تناولت كوباً، راحت تتأمل المكان. كانت أرض الحديقة مغطاة بالعشب الأخضر واجواض من الزهور تقطعها أشجار باسقة ويظهر على بعد مسافة من مكان وقوفها هيئة منزل فخم.

ثم راحت تقارن هذا المنزل بكوخ ريفي، المكان الذي يمكن تسميته بأي اسم ما عدا منزل.

لكن لم يكن هناك ما يدل على صاحبه، فقالت في نفسها انه عليها ان تكون ممتنة لذلك، متسائلة إذا كان ممكناً أن يبقوا بعيدين عن أليكس طوال فترة بعد الظهر.

فسألت: «ماذا علينا أن نفعل الآن؟ أن نقف أمام الكاميرا ونبتسم؟»

فرد بنبرة حاسمة: «أن نتجول في المكان ونمنح أنفسنا نظرات إعجاب. اشربي العصير، فربما سيحسن ذلك من مزاجك.» ثم راح يتجول وإياها حول المكان، ويتحدث مع ضيوف عديدين، مقدماً إياها على أنها فينيلا، دون أن يحاول فعل شيء حيال تلك النظرات التي كانت تحظى بها، والعيون التي كانت تراقب كل حركة تقوم بها. وقد استطاعت

أن تسمعهم يتساءلون عن سبب مرافقتها له، هل من أجل الحب أو من أجل المال.

لقد كان هناك العديد من الثرثارين، العديد من المتعجرفين والمتملقين. وما أن وصلا إلى الرواق، حتى كانت فين قد سمعت من الكلام اكثر مما يجب.

امتدت الأرضية المرصوفة حتى مدخل ذلك المنزل الرائع، حيث كانت طاولات السفرة مغطاة بمفارش بيضاء، ومقاعد حول الطاولات، وتزينها زهريات تحمل زهور الزنبق لتضفي رائحة ذكية على المكان. وفي منتصف الرواق، يظهر سول أكرمان محاطاً بعدد من المتملقين.

وما أن رأته حتى أحست برعشة في داخلها. فقد كان جلياً أنه اكثر الرجال الموجودين جاذبية... على الرغم من الممثلين الوسيمين الذين رأتهم.

تمنت لو أنها لم تره. لأن ذلك يجعلها تشعر بالذنب. فقد أساءت التصرف معه حين التقيا للمرة الأولى، لكن هذا لا يعني أنها لن تتصرف بطريقة أسوأ إذا ما حدث ذلك ثانية، وذلك لن يؤثر على مستقبل أليكس. فهي لم تلتق من قبل بأي شخص، سواء أكان رجلاً أم امرأة، جعلها تصل إلى هذه الدرجة من العصبية، لذلك، فإنها كلما فكرت بأكرمان، يحمر وجهها!

فقالت همساً: «يمكننا الرحيل الآن. إذ يبدو لي أنك تكلمت إلى كل الموجودين هنا.»

ما عدا سول، ولم تكن تنوي أن تذكره بذلك. فقد تعبت من كونها محور حديث الجميع. إذ لا بد وأن معظم الموجودين هنا قرأوا عن حدث أمس على الصفحات الأولى. وما كانت

متأكدة منه هو أن المدعوات كن يتحدثن عنها، الأمر الذي جعلها تشعر بالارتباك. لكن ذلك لم يمنعها من أن ترغب في ضرب أليكس حين قال لها باستخفاف: «تريدينني أن أترك كل هذا الطعام الفاخر؟ إلى جانب ذلك، انني لم الق التحية على سول بعد. عليّ أن أبقى على مرأى من نظره. ولو كانت جين معنا لقالت الكلام عينه.»

«هيا، إفعل ذلك. قد تستحق ميدالية إذا ما استطعت أن تأخذه من بين كل تلك المعجبات.» فقد لاحظت أن فيستافين الفاتنة ترافقه مثل ظله ولا بد أن تكون صديقته الحالية. فقد حطمت الرقم القياسي لأنها شوهدت مرتين برفقته... حسبما قاله أليكس عن تجديد علاقات سول السريع. ثم استأنفت الحديث طالبة ما لا تريده فعلياً وقالت: «أريد الذهاب إلى الحمام. في أي مكان هو؟»

«أدخلي إلى المنزل، ستجدين باباً ما يرشدك إلى الحمام. لا تتأخري. سأحضر شيئاً لناكله، وأحاول أن ألفت نظر سول. فرغم كل شيء، هو الذي أصر على دعوتك.»

قالت في نفسها بينما كانت تتوجه نحو المنزل وابتسامة لا معنى لها مرسومة على وجهها، انها لم تكن ترغب في سماع ذلك.

لم تكن في حاجة لأن تجد حجرة الحمام.... فقط أي مكان خالٍ من الناس. ولم تكن تنوي أن تعود للمشاركة في الحفل قبل أن تهدأ ثانية. أما أليكس، فهو يستطيع تدبير أموره وحده، فقد قامت بفعل ما فيه الكفاية.

وجدت قرب إحدى زوايا المنزل حوض سباحة تعلو سطحه مقاعد وطاولات حديدية بيضاء مزخرفة يشغلها

أشخاص. فأخفت وجهها سريعاً وانتقلت إلى مكان آخر.

وبعد قليل وجدت المكان التي تريده: مكان معزول تماماً، حديقة صغيرة محاطة من ثلاث جهات بأشجار صنوبر عالية، ومن الجهة الرابعة هناك باب يطل على حقول واسعة وضفاف النهر. لم يكن أي أثر لأي انسان. كان هناك فقط الشمس، النسيم العليل، تغريد العصافير والسماء.

ورغم المقعد الحجري الموضوع في مكان مناسب جداً يطل على منظر خلاب، إلا أنها خلعت حذاءها واستلقت على العشب الأخضر الذي يغطي الأرض، وغطت وجهها بقبعتها لتحمي وجهها من أشعة الشمس الحامية.

ولو لم تكن متوترة، لكانت غفت بسرعة. لم تكن مدركة كم هي متعبة. فقد أمضت الأعوام الأربعة الأخيرة تجول أوروبا، تنتقل من وظيفة إلى أخرى، مستمتعة بكل لحظة من لحظات حياتها. ومنذ ثمانية عشر شهراً، وبعد موت والدها المفاجيء بسبب مرض في القلب، توقفت عن العمل لمدة شهرين كي تساعد والدتها المفجوعة على الانتقال للعيش مع زميلة دراسة قديمة تعرفها... توفي زوجها مؤخراً أيضاً... في اوستراليا، ولم يكن ذلك بالأمر السهل.

لقد حزنت على والدها، بالطبع، لكن حزنها اتخذ شكل الندم العميق. الندم من والدها كان يزعجه وجودها لأنها تعيق حياته. إنه انسان انانى، لم يعط في حياته أية أهمية لأي أمر سوى عمله، فهو مؤلف متجول ومعروف. لقد جال حول العالم، مصطحباً زوجته معه، وبعد فترة، اصطحب كذلك الطفلة التي لم يردها أبداً. وهو لم يصطحب زوجته

بالمعنى الحقيقي، لكنها كانت تعتمد عليه في كل شيء، ولا تحتمل غيابه عنها ولو للحظة! والآن، وبعد وفاته، لم تعرف والدتها كيف تنظم حياتها. لذلك فإن فين لا تعتبر الشهرين اللذين قضتهما برفقة والدتها لتساعدها على تجاوز مصابها رحلة.

وبعد بضعة أسابيع، وخلال إحدى المكالمات الهاتفية التي اعتادت على إجرائها مع والدتها في أوستراليا من أي مكان تكون فيه، قالت لها أمها: «أريدُ منك عندما تعودين إلى لندن أن تبيعي الكوخ. لأنني لن أحتمل وجودي فيه بعد ذلك دون والدك. وأجمعي أغراض والدك الخاصة وارسليها الي. لكنت طلبت ذلك من أليكس وجين، لكنك تعرفين مدى انشغالهما بأمور أخرى. وأليكس لديه أمور يقوم بها أهم بكثير من أن يهتم بشؤوني.»

وهكذا كان، فبعد أن استلمت وظيفتها في لندن، حلت فين في منزل أليكس وجين في هامبستيد لقضاء بضعة أيام معهما، قبل أن تستأجر سيارة وتتوجه إلى كورنوول، مقررة أن تمضي بضعة أيام في الكوخ ترتاح فيه وتستجمع قواها قبل بيعه. وبدل أن يحدث ذلك، وجدت نفسها تقوم بدور حبيبة أليكس.

أطلقت فينيللا تنهيدة قوية، واستلقت بطريقة أكثر استرخاءً، إذ أنه لم يكن هناك أي شخص. راحت تفكر في أنه إذا كان عليها أن تمضي الأسابيع القليلة القادمة مع خالها في أماكن معروفة، متظاهرين أنهما على علاقة عاطفية، فهي ستكون في حاجة للاسترخاء حين تفعل الآن.

قررت أن تسترخي، وألا تفكر في أي شيء. ونجحت في

ذلك، فقد شعرت بجسدها يتخدر، والنعاس يثقل عينيها، يأخذها إلى بعيد.

«هل يمكن لأحد أن ينضم إليك. أم أن أليكس هو الشخص الوحيد الذي يسمح له بذلك؟»

هز هذا الصوت الجهوري أعماق فين، ليوقظها من ذلك السبات بينما امتدت يد لتنزع القبعة عن وجهها. فجفلت فين لدهشتها، ثم حاولت أن تجلس غير آبهة للطريقة العشوائية التي قامت بها.

نظرت إلى عينيه الحانقتين وحاولت أن تسيطر على لهاثها، قائلة له بصوت أجش: «ماذا تفعل؟ إذا كانت هذه هي الطريقة التي تعامل بها ضيوفك النساء، فأنا استغرب بقاءك على قيد الحياة حتى الآن!»

فابتسم إبتسامة جذابة خطفت أنفاس فين ثانية. إذ أن تلك الإبتسامة بدت ساحرة كسحر أشعة القمر عندما تنعكس على مياه البحر.

«أنا أعامل ضيوفي النساء تماماً حسب شخصية كل واحدة منهن. كان من المستحيل مقاومتك. كنت أبحث عنك، لأن أليكس بدا لي كالمجنون. وبما أنني وجدتك، كنت أحاول ألا أضيعك ثانية.»

إستأنف حديثه بعد قليل قائلاً بفظاظة: «هيا. هناك أمر يود أليكس أن يخبرك به بالإضافة إلى أنك إذا لم تظهري حالاً، فإنه سيفقد صوابه.»

الفصل الثالث

كانت حذرة من سول أكثر من أي وقت مضى. ومردّ ذلك إلى التوتر الداخلي الذي شعرت به منذ أن بدأت مع أليكس بتنفيذ هذه الخطة المجنونة. حاولت فين أن تمحو من ذاكرتها صورة ذلك الوضع الذي كانت عليه مع سول.

غير أنها لم تستطع ذلك، ولم تكن مسرورة لرؤية شخص ما مثلما هو حالها حين رأت أليكس عندما التقى بهما في الرواق الذي كان شبه خالٍ من الناس.

قال أليكس فرحاً: «ها أنت هنا! ظننتك تركتني يا عزيزتي.»

«لن أفعل ذلك أبداً!» ومن لهفتها للوصول إليه تعثرت لكن يد سول امتدت لتمنعها من الوقوع. ثم همس في أذنها: «إذا كنت تتصرفين هكذا دوماً فإنني أستطيع أن أفهم لماذا يكره أليكس بعدك عنه ولو للحظة!»

اشتعلت فين غضباً لدى سماعها هذه الكلمات. وقد أرادت أن تطلب منه أن يصمت لكنها لم تستطع النطق بكلمة واحدة.

لكنها رفضت ذلك وعادت إلى حالتها الطبيعية.

قال: «استأذنكما لحظة، فهناك شخص أود التحدث إليه قليلاً.» ثم مشى بعيداً عنهما، وقد كان يتحرك برشاقة كبيرة بالنسبة لرجل قوي البنية مثله. وقد ذهلت فين لمهارته في التصرف وكأن شيئاً لم يكن، وكأنه لم يهنها قولاً وفعلاً!

«هل نستطيع الذهاب الآن؟» ثم نظرت إلى خالها، غير مستغربة الطريقة التي نظر بها إليها بعد أن سمع سؤالها. فهو لم يسمع الإهانة التي همس بها سول لها في أذنها.

«ليس بعد.» ثم أبعدها من طريق النادلين الذين كانوا يقومون بتوضيب المكان. إذ أن الحفلة قد انتهت منذ وقت طويل، إذاً لا بد لها أن تكون قد نامت فترة أطول مما ظنت. ثم أكمل بانفعال، ووجهه الأحمر قرب وجهها: «اسمعي، لقد تحدثت إلى لورينس ميك ـ إنه مدير البرامج الذي يقرر ما يصلح وما لا يصلح. والشخص الوحيد الذي يستطيع التأثير على قراراته هو...»

فقالت والكراهية تملأها مجدداً لمجرد الحديث عنه: «سول اكرمان.»

«بالضبط. وعلى كل حال، لمّح لي لورينس مؤكداً، ورغم كل شيء، أن برنامجي لن يلغى وقد قال حرفياً: لا تقدم طلباً للعمل في أي مكان آخر، أيها العجوز فهناك قرار هام سيتخذ قريباً وأظنه سيكون لصالحك.»

قالت بفرح شديد محا انزعاجها وبعث بريقاً غريباً في عينيها: «هذا خبر رائع!» لقد فرحت حقاً لأجله. فبرنامجه يعني له الكثير ـ فهذا البرنامج يحمي كبرياءه، احترامه لذاته، وتقدير الناس له، ثم توجهت ببطء نحو الدرابزين الحجري عند آخر الرواق وراحت تنظر إلى الحدائق التي أصبحت خالية، وأليكس إلى جانبها. فذلك النبأ السعيد الذي أخبرها إياه يعني أنهما سيتوقفان قريباً عن تنفيذ خطتهما رغم أنها لم تكن تمانع، لكنها لم تكن تتوقع أن يشعرها ذلك بالأسف والخزي. لكنها الآن مرتاحة جداً.

قالت في نفسها ان ذلك الوحش اكرمان يملك منزلاً جميلاً، فهدوء المكان يلطف مزاجها. وقد كانت لتستقر في مكان واحد لو انها تملك مكاناً كهذا. ثم تنهدت وقالت، لا، لا يمكنها أن تتصور نفسها في مكان واحد أينما كانت وهي لم تستطع أن تفهم لماذا، فلطالما كان هناك أمر جديد يضطرها إلى التنقل من مكان إلى آخر.

«ومتى سيُتخذ هذا القرار الهام؟»

«غير أكيد من الموعد بعد، لكن قريباً. وعندما يُتخذ سواء أكان لصالحي أم لا، فإننا سنوقف ما نقوم به.»

نظرت إليه بقلق وقالت: «لكنّ لا يمكن أن يكون هناك أي علاقة لما نُشر في الصحيفة بتغيير رأيهم، أليس كذلك؟ إذ ان نشر خبر...» ولم تستطع أن تكمل جملتها الثانية. فحسب معلوماتها انخفضت نسبة المتفرجين على برنامج أليكس لبعض الوقت، لتنزل إلى الصفر مؤخراً. هل يمكن أن يكون لذلك علاقة بما نُشر في الصحيفة؟ لكن ذلك لا يبدو منطقياً.

لكن أليكس لم يدرك لماذا أجل تنفيذ توقيف برنامجه، إذ ان كل ما اهتم به هو أن ذلك حصل. فقد كان يبتسم بفرح شديد. كان لدى فين إحساس بأنه راح يحتفل بذلك القرار منذ أن أنهى كلامه إلى مدير البرامج.

«هل يمكنني أن أقود أنا السيارة عند توجهنا إلى المنزل؟»

«سنرى لاحقاً. لقد طلب منا سول البقاء لتناول العشاء معاً... لقد كنتُ أحاول أن أقول لك.»

فهزت رأسها رافضة وقالت: «ماذا؟ لا. آه لا!» فقد سئمت من رفقته. ولا بد أن تكون هناك حسناوات أخريات

مدعوات، أيضاً، لقد كانت متأكدة من ذلك. وذلك يشمل الحسناء فيستافين طبعاً! لكنها لم تكن تريد ولأي سبب كان أن تكون ضمن تلك المجموعة التي ستكون حول طاولة العشاء مع سول الليلة.

«فين! لا تقولي هذا! أعرف أن الأمر صعب... أن تقومي بدور حبيبتي، وما إلى ذلك. لكن ذلك لن يدوم طويلاً، أعدك، وبعد ذلك نرجع إلى حقيقة شخصيتنا. فذلك مهم بالنسبة لي، عليك ان تفهمي ذلك. لقد استطعنا التملّص من دعوته لنا مرة، لكنني متأكد أننا إذا فعلنا ذلك ثانية فسأفقد أي أمل في تغيير رأيهم إلى الأبد! لا أستطيع أن أرفض له أي طلب على الأقل حتى يُتخذ القرار. وربما كان يريد مناقشة هذا الأمر على العشاء. أرجوك، يا عزيزتي حاولي أن تتحملي ذلك من أجلي؟»

لقد كان ذلك ابتزازاً عاطفياً وكانت تعلم أنه ليس لديها أي خيار آخر. لكنها ولتثأر لنفسها قالت بصوت حاد: «ألا يمكننا أن نخبره بأننا لا نستطيع التأخير؟ إذ ان سول سيتفهم أمراً كهذا... ذلك الوحش، المهين، المتعجرف!»

لاحظت فين تغيّر لون وجه أليكس، وادركت السبب عندما قال ذلك الصوت الحاد من ورائها بالتحديد: «هلا دخلنا؟ فلدينا وقت لتناول بعض العصير قبل تناول العشاء. وربما تحتاج ابنة أختك...» وقد أكد على تلك الكلمة وتابع قائلاً: «لأن تذهب إلى حجرة الزينة قبل أن نبدأ بالطعام؟»

ليس هناك أدنى شك في أنه سمع ما قالته. فحاولت أن تخفي وجهها المتورد بطرف القبعة، ولم يكن هناك أمامها خيار آخر سوى أن ترافق خطاهما بينما كانا يتوجهان إلى

المنزل. لكن لشدّ ما كانت سعادتها كبيرة عندما دخلوا إلى المنزل وقدم إليهما مدبرة المنزل، السيدة برينغل.

«اصطحبي فينيللا إلى غرفة الضيوف الزرقاء، يا بريني. وأجّلي تقديم العشاء ساعة واحدة، إذا كان ممكناً؟ إذ سنشاهد نشرة أخبار محطة فيجن وست في غرفة المكتب.»

كم يبلغ عدد الأشخاص الذين سيشاهدون النشرة، أيضاً؟ كم يبلغ عدد الأشخاص المدعوين للعشاء؟ هل من الممكن أن تدور في رؤوسهم جميعاً تساؤلات عما يحدث بين فين وأليكس؟ متسائلين إذا كانت زوجته تعرف كل ما يجري؟

شعرت فين باستياء شديد. فهي ليست من هذا النوع. ففكرت في أن تقول لمدبرة المنزل انها تشعر بالصداع وانها ستستلقي قليلاً. لا، إنها لن تنجو بذلك، لأن سول اكرمان سيأتي مسرعاً ليخفف آلامها. فهو على الأرجح يعرف بعض الوصفات الجيدة التي يقدمها الأطباء!

أخذت توبخ نفسها على هذا التفكير بعد أن تركتها مدبرة المنزل في غرفة الضيوف الزرقاء كما أُمرت. فهي التي نادراً ما تمنح دقيقة من وقتها لتفكر في أي موضوع.

كانت في الثامنة عشرة من عمرها ووحيدة، خلال العام الأول لدراستها الأكاديمية في اللغات الحديثة. راي غوردن، زميلها، تقرّب من فين على رغم اعجاب معظم الفتيات به، ولقد تجاوبت هي معه فقد تخيّلت أنها مغرمة به، وأبعد الوحدة من حياتها. لكن بعد ستة أسابيع ابتعدت عنه عندما لاحظت اختلافاً في الاراء والتفكير. ومن خلال معرفتها المبدئية ـ دراسة السنة الأولى ـ بالبلدان الأخرى عاداتهم

ولغاتهم، ستكون حرة، ولن تبقى وحيدة ما دام هناك أماكن تزورها، أشخاص تلتقي بهم وعقل يساعدها على التمييز والاختيار.

رمت قبعتها على السرير، ثم راحت تجول في أنحاء الغرفة. وجدت أنها تتميّز باللون الأزرق الفاتح بالإضافة إلى اللونين الرمادي والبيج. وهناك أيضاً التحف الثمينة. لكن أهم شيء هو وجود حجرة زينة أنيقة تحتوي على كل ما تحتاجه الزائرة الضيفة لتعدّل من مكياجها وهيئتها. وبعد عشرين دقيقة، توجهت إلى الطابق السفلي للانضمام إليهم.

لكنها توقفت في منتصف قاعة كبيرة تعبق بعطر النرجس لا تعرف إلى أين تذهب. وقد انتشرت في أنحاء القاعة زهريات فخمة تحمل أزهار الربيع. بالإضافة إلى الجدران القديمة والأثاث العتيق الثمين الذي كان يزيّن القاعة. كان منزلاً عريقاً شعرت أنه يرحب بها، ويقدم لها مكاناً جميلاً، مريحاً...

«من هنا، يا آنسة.»

أفاقت من شرود ذهنها فجأة، لأنها لم تكن من ذلك النوع الحالم من الفتيات. في الواقع، لا يمكن أن تكون كذلك وهي المتزنة.

قالت وهي تبتسم بارتباك لمدبرة المنزل التي خرجت من إحدى الغرف تحمل صينية عليها أكواب عصير فارغة: «شكراً، فأنا لا أعرف إلى أين أذهب.»

لقد كانت تائهة ذهنياً. فبالرغم مما احتواه هذا المنزل، الا انه يبقى منزلاً وليس هناك ما يستدعي الضياع! ثم

اقتربت فين من الباب الذي كانت تفتحه لها السيدة برينغل لتنضم إليها في الغرفة، محاولة أن تخفي ارتباكها. ولا بد من أن يكون هناك عدد كبير من المدعوين كما يتبين من عدد أكواب العصير الموضوعة على الصينية.

تنفست فينيللا بعمق، وهي تهيىء نفسها لتحمل المزيد من النظرات والأسئلة الفضولية، ثم دخلت إلى الغرفة. اندهشت لرؤية أليكس مسترخياً على مقعد جلدي وثير والكوب في يده، أما سول فكان على أريكة ذات مقعدين، ولا أحد سواهما.

لم يلحظ أليكس دخولها لأنه كان يركز نظره على جهاز التلفزة، لكن سول انتصب واقفاً بسرعة، وأرشدها إلى الأريكة حيث كان يجلس لتشاركه إياها، ثم توجه نحو الصينية الموضوعة عليها أكواب العصير.

تأملت فين الغرفة بنظرة سريعة محاولة أن تجد لها مكاناً آخر لتجلس، لكنها رأت أنها إذا جلست على حافة الكرسي الخشبي قرب المكتبة بعد أن تضع مجموعة الكتب والمجلات الموضوعة عليه في مكان آخر حتى تستطيع الجلوس، فسيكون ذلك بمثابة عمل احترازي طفولي.

لكنها قالت في نفسها مؤكدة انه لم يكن هناك أمر يستلزم منها تصرفاً كهذا، فجلست على الأريكة، وكان شيئاً لم يكن يخطر على بالها. لقد كانت غرفة مريحة، واسعة وقد أراحت فين فكرة عدم وجود أي ضيف غيرهما. أخذت كوب العصير الذي قدمه لها سول وهمست له شاكرة.

كان سول قد خلع سترته التي كان يرتديها طوال فترة بعد

الظهر وكذلك ربطة العنق، ليُظهر قميصه الأبيض كتفيه العريضتين. ارتشفت فين قليلاً من العصير لترطب حلقها الجاف. إذ ان جاذبيته لا تقاوم، الأمر الذي يجعل رفض مرافقته أمراً مستحيلاً. فلم يكن عليه حتى أن يحاول لأن الأمر كان يتجاوز الكبرياء!

ربما كان ذلك هو السبب الذي يجعل من تراه تشعر بخطر محدق ـ بسبب الطريقة التي كانت تتحرك بها، تلك العينان اللتان تنفذان مباشرة إلى العقل وتقرآن الأفكار، ضحكته التي تجعل سامعها يظن أن الشمس قد أشرقت فقط له حتى في أحلك الليالي.

لكن ذلك الخطر لم يكن يحدق بها! لا، إنه أمر يخص خالها أليكس. الخطر في أن يوقف له برنامجه. لذلك فإنها ستحاول نسيان إهانته لها وتفعل ما في وسعها لتحافظ على رباطة جأشها وحسن تصرفها، أن تشاركه في تناول العشاء وتودعه بلطف. وكل ذلك من أجل خالها.

قطبت وجهها أثناء تفكيرها في هذا الموضوع. وقد رأى خالها تلك العبسة عندما أشاح بصره عن شاشة التلفزيون ونظر إليها، يحييها ويبتسم لها ابتسامة بريئة. ولكم تمنت لو كانت جين هنا لتحثه على مغادرة هذا المنزل، إذ ان رغبته في إعادة عرض برنامجه قد سيطرت على عقله وعطلت تفكيره!

جلس سول قربها على الأريكة وسكب لها بعض العصير وراح ينظر إلى التلفزيون.

ارتشفت فين قليلاً من العصير وحاولت إقناع نفسها بأن الانجذاب الحاصل بينهما هو فقط موجود في مخيلتها،

وأن حذرها الشديد منه هو ردة فعل طبيعية للإهانات التي وجهها إليها، ويجب عليها أن تخاف منه بعدما قاله لها. لكن ما أن ينتهي العشاء حتى تغادر هذا المنزل ولن يكون عليها أن تراه ثانية.

وبعد هذه الفكرة المريحة التي توصلت إليها، ركزت نظرها هي أيضاً على شاشة التلفزيون. بدأ القسم الثاني من نشرة الأخبار المحلية بعد المحطة الإعلانية وراحت تنظر دون أي اهتمام إلى اللقطات التي صورت للمشاهدين في أنحاء مختلفة من مراكز التصوير، ولكن ما أن بدأ عرض صور عن الحفلة حتى جلست مستقيمة وركزت نظرها على ما تشاهد.

لقد أظهرت هذه اللقطات الضيوف بمواقف مختلفة، كذلك ظهر مدير البرامج وهو يعلن عن برامج مستقبلية مثيرة ومسلية. واستطاعت أن ترى نفسها مع أليكس في بعض اللقطات وهي تقف بجانبه و... يا لفظاعة ما رأت! لقد صوّرت كل حركة قامت بها بكل تعابيرها.

تجاهل أليكس الاطراءات التي بدأ يسمعها حين بدأ سول يقول: «شعبية واسعة. فكرتك عظيمة أيها الرجل العجوز!»

فقالت فين في نفسها ان ذلك لمصلحة سول أيضاً. إذ لا بد وانه كان هناك العديد من المشاهدين الذين رأوا أليكس فيربورن برفقة شابة حسناء، ورأوا أيضاً ابتساماتها المتكررة في وجه أليكس الوسيم.

فقال سول: «لقد كانت فكرة جماعية.» ولم يكن هناك ما يوحي بانزعاجه فقد بدا فرحاً جداً.

وقف سول وضغط على زرّ قرب المدفأة وقال: «هل لنا أن

نتوجه إلى غرفة الطعام؟ بريني ستقدم لنا طعام العشاء الآن.»

فقالت فين في نفسها انه يجب عليها ذلك. إذ لا بد وأن مدبرة المنزل تنتظرهم. فوضعت كوبها على الطاولة.

بالكاد استطاع أليكس أن يصل إلى غرفة الطعام التي اصطحبهما سول إليها. تلك الغرفة الصغيرة المطلّة على الشرفة. وأخذ أليكس يتكلم عن اعماله الماضية ونجاحاته وعن المشاهير الذين التقاهم خلال سنوات طويلة لامعة. وقد ركلت فين قدمه مرتين برجلها من تحت الطاولة، لكنه لم يستجب لذلك. لقد سيطر عليه سول لدرجة أن أليكس شعر أنه مهم جداً وأنهم يقومون بتكريمه.

لم تكن تعرف ما ينوي سول القيام به، لكنها كانت تشعر بأن هناك أمراً مريباً يدبره، لتتأكد من صحة ذلك بعد احضار القهوة، حيث طلب من بريني بنبرة تجعل أمره لا يُرد: «اصطحبي السيد فيربورن إلى غرفته، إذا سمحت، فقد كان يومه شاقاً.» ثم قام باندفاع وساعد ضيفه المرهق على الوقوف وتابع قائلاً: «أيناسبك هذا يا أليكس؟»

قالت فينيللا في نفسها: غرفته! هذا يعني أن مدبرة المنزل تعرف مسبقاً أنهما سيمضيان الليلة هنا. آه، ذلك المخادع! ولم يتفوه أليكس بأي كلمة، لكنه نظر إليها بعينين مثقلتين قبل أن يمشي خلف السيدة برينغل. لقد كان سول اكرمان يستغله. وهي تعتقد الآن أنها بدأت تفهم لماذا!

لذلك، فإنها عندما أغلق سول الباب بعد خروج أليكس ومدبرة المنزل، انتصبت واقفة.

ثم قالت بلهجة لطيفة تمنع اكرمان من اتهامها بالفظاظة:

«شكراً على هذا العشاء الشهي، يا سيد اكرمان. سأصطحب أليكس صباحاً، حوالي الساعة الحادية عشرة.»

في ذلك الوقت سيكون خالها قد استفاق بعد جهد يوم مرهق، كذلك فإن سول سيكون في عمله ومن خلال نظرتها المتعجرفة، سيفهم سول ما تكنه فين له. وستثبت تصرفاته معها صحة شكوكها أو عدمها. وقد زادت لحظات الصمت التي خيّمت عليهما من شدة توترها، لتظهر بعد ذلك تلك الابتسامة الساحرة على فمه، ومن عينيه الجذابتين، فراحت فين ترتجف وتلهث.

قال سول: «بقاؤك هنا غير ضروري، يا فينيللا ألم أقل لك ذلك من قبل؟» ثم اقترب منها، الأمر الذي جعلها تجفل في مكانها، فكبرياؤها لم تسمح لها بفعل أي شيء.

قال لها هامساً: «التزاماً بآداب المجتمع فأنت ستنامين في غرفة وأليكس في غرفة أخرى.»

شعرت فين بانزعاج شديد بسبب الطريقة التي كان يتكلم بها. فقد كان من المفروض أن يعتقد الجميع أنها على علاقة مع أليكس. لكن ذلك لم يكن سبباً لتعذره!

أبعدت رأسها إلى الوراء، واستندت إلى طاولة حالت دون تحركها إلى مكان آخر. وقد كانت على وشك أن تخبره بأنها لا تنوي البقاء تحت سقف واحد معه، لكنها ما أن فتحت فمها لتصرخ في وجهه حتى نسيت كل الكلام.

لم تكن تعرف ما إذا كان عجزها عن الحراك هو نتيجة ما تشعر به. قال سول: «دعيني أحذّرك من رفض ضيافتي ثانية، يا فينيللا. أنت لا تريدينني أن أشعر بالإهانة، أم انك تريدين ذلك؟ إذ ان ذلك سيجعلني أغيّر رأيي فيما يخصّ

خالك. وذلك سيكون أمراً معيباً، خاصة بعد ان أقنعتُ لورينس ميك بأنه علينا إعادة النظر في قرارنا المتعلق بتوقيف ذلك البرنامج الفاشل أمسيات مع أليكس. هل يمكننا أن نشرب القهوة في الشرفة؟»

www.elromancia.com

الفصل الرابع

غضبت فين كثيراً لما سمعته، ورمت بنفسها على أحد المقاعد الجلدية الفخمة وراحت تراقب سول وهو يضع فنجاني قهوة على الطاولة الحديدية البيضاء. وبينما كان يصب القهوة، راحت تتذكر.

إبتزاز سافر. إفعلي ما أقوله لك، أو...

إفعلي كما أقول لك. ولا تتذاكي محاولة معرفة ما قد أقدم على القيام به! فهو على الأرجح يظن أنها لعوب، فقد رآها مع أليكس، أعجب بها، وقرر أن يحتفظ بها لبعض الوقت!

سألها إذا ما كانت تريد إضافة السكر أو الحليب، لكنها رفضت ذلك، وجلست على المقعد المقابل له.

قال بصوت دافيء تغلغل إلى أعماقها، مما جعلها تشعر بالقشعريرة مجدداً: «إذاً... أخبريني قليلاً عن نفسك.» فقد بدا وكأنه مهتم فعلاً. قالت مؤكدة لنفسها، ببساطة هذه هي إحدى الحيل التي يستعملها ليجذب النساء.

لكن، ما هو أسوأ، هو أنها أرادت أن تتحدث إليه، وتتمتع بهذه الليلة الهادئة. لكنها كيف تريد ذلك؟ فهي ليست حمقاء إلى هذه الدرجة. وعلى أي حال، فإن رغبتها في ذلك اختفت بسرعة كبيرة لأنها سئمت من الخداع، من الدور الذي كانت تقوم به.

سألته بنبرة قوية محاولة أن تفهمه أنه لن يتمكن من خداعها بسهولة: «لماذا؟» ثم استجمعت قواها للرد على ما

سيقوله، لتجد نفسها مشدوهة الفم لشدة دهشتها حين قال لها بهدوء.

«لأنني أهتم لأمرك، لماذا إذن أريد أن أعرف أي شيء عنك؟» وقد استطاعت أن ترى بسبب الضوء المنبعث من داخل الغرفة التي يطل عليها الشرفة، علامة الاستهزاء التي ارتسمت على فمه. ثم استرخى على مقعده ومد رجليه الطويلتين إلى الأمام، لتظهر تقاسيم وجهه الشديد الجاذبية اكثر وضوحاً من قبل. فقد بدا مرتاحاً جداً، وراضياً عن نفسه، مما يتناقض تماماً مع الشخصية السلطوية التي رسمتها له. فقال: «أو ربما تعجبينني هي الكلمة الأنسب. أو لأي سبب كان. أريد أن أعرف كل شيء عنك.»

لقد بدأت تشعر أنه يعجبها، وهذا أمر أقلقها.

قالت: «ليس هناك الكثير ليقال.»

«لا يمكن أن يكون ذلك صحيحاً.» ثم طوى ذراعيه ووضعهما خلف رأسه، وهو لا يزال ينظر إليها وتابع قائلاً: «دعينا لا نتحدث عن مكان إقامتك، إذ لا بد وأنك تقضين وقتك في مكان ما في كل مرة تخرجين فيها برفقة أحدهم.»

أحست بغضب عارم يعتريها ولكن الأمر الوحيد الذي جعلها تتماسك وتبقى في مكانها هو أنها تذكرت وعدها الذي قطعته لجين. إذ أنها وافقت على مساعدة أليكس في تنفيذ هذه الخطة وتمنت لو أنها رفضت ذلك.

«لم أسكن في مكان واحد.» ثم ارتشفت آخر ما بقي من قهوة في فنجانها ووضعته على صحنه بيدٍ مهتزةٍ لشدة غضبها المكبوت. فما قالته كان صحيحاً لأنه لم يكن لديها

مكان عمل ثابت لكنها كانت تنتقل حسب متطلبات العمل، ولم تقم في مكانٍ واحد مدة كافية كي يكون لها بيت تستقر فيه.

وفجأة، تغيرت نبرة صوته لتنضح قوة. وقال: «إذن، دعيني أسألك بطريقة ثانية. ماذا ستفعلين وإلى أين ستذهبين حين تنتهي فترة بقائك مع أليكس؟ هذا على افتراض أن صلة القرابة بينكما غير صحيحة، ألا تعتقدين ذلك؟» لم يعد يمتاز بالهدوء الذي كان عليه من قبل، غير أنه لم يتحرك. لكنه بدا وكأنه في انتظار أمر ما حتى يتصرف. ثم استأنف الحديث قائلاً: «وهو من سيطلب منك الرحيل، أتعلمين ذلك؟ فأنت مجرد تسلية لرجل عجوز. هناك أمر واحد أنا أكيد منه، إنه يحب جين. ولن يتركها أبداً. لكنني متأكد من أنك تعرفين ذلك جيداً. فالنساء... اللواتي يرتبطن برجال اكبر منهن في السن، رجال متزوجين... يفضلن الرجال المشهورين الذين يبذرون المال...»

لكن ما قاله لا يحتمل ولا حتى لأجل أليكس، فانتصبت واقفة. وقالت بنبرة حادة: «يا لفظاعة تفكيرك! أعتقد أنني سأمضي الليلة في غرفة الضيوف الزرقاء. عمت مساءً، يا سيد اكرمان. كنت أتمنى لو أنني استطيع أن أقول لك انني تمتعت بالسهرة لكن ذلك لم يحصل.»

وقف بسرعة واقترب منها، وأحست برجليها ترتجفان. ونظرت إليه بعينين مرتبكتين حين كرر على سمعها ذلك السؤال قائلاً: «ماذا ستفعلين؟ أين ستذهبين حين يعود أليكس إلى صوابه؟»

كادت أن تسأله ما الذي جعله يظن أن أليكس حبيبها. سؤال سخيف! إذ أنها تعرف تماماً لماذا يظن سول وقراء

تلك الصحف اللعينة ذلك! كان عليها أن تحاول كبح لسانها. لكن المشكلة هي أن كرهها له أبعد عن ذهنها كل شيء. فقالت وهي تنظر إليه: «ما الذي يجعلك تظن أن لدي أكثر من حبيب؟ لربما أليكس هو الوحيد. هل خطر لك ذلك؟»

ظل ينظر إليها بعينين براقتين، وسألها:

«كم عمرك؟ أربعة وعشرون؟ خمسة وعشرون؟ لا تقولي لي انك بلغت من العمر هذا الحد وأنت إلى حد كبير من البراءة، يا فين، لأنني لن أصدق ذلك. ليس من خلال نظراتك، والثقة التي توحين بها. لا بد وأن العديد من الرجال قد قدموا الكثير لك.» ثم تابع بصوت جعلها ترتجف، وقال: «لا تقولي لي ان النجم الشعبي العجوز هو الأول...»

لقد كان فظاً شريراً وهي تكرهه! فقالت: «إن ذلك ليس من شأنك. أم أنه كذلك؟» ثم تابعت بنبرة حادة: «لقد أرهقت أليكس عمداً، أجبرته على البقاء هنا...» ثم تلعثمت.

فضحك وقال بحدة أربكتها:

«هو أرهق نفسه. لقد كان متوتراً جداً مؤخراً. يا لهذا المسكين... إذا كنت تظنين أنني خططت لذلك، فقط لكي نكون بمفردنا، إنسي الأمر فأنا لا اتصرف بهذه الطريقة.»

قالت في نفسها لم يخطط لذلك؟ هل أساءت الظن به؟ لا، كيف فعل ذلك؟ فهي لم تنسَ إهاناته لها، حتى ولو نسي هو.

شعرت فين بنواقيس الخطر تدق، وجف ريقها ثانية فسألته بعصبية: «فقط أخبرني كيف تتصرف؟»

«آه، إصبري وستعرفين. لنقل، حتى الآن، ان صديقنا أليكس يعاملك كما يجب، طبعاً وأنت ستذكرين ذلك دائماً. هل لنا أن نشرب مزيداً من القهوة ونكمل حديثنا؟»

أحست وكأن صوته بعيد جداً. وبعد أن ابتعد عنها شعرت بارتباك شديد، واسترخت على المقعد وراحت تلعنه في نفسها لما فعله.

لقد كان صريحاً معها حين أخبرها أنه أوقف تصوير البرنامج، إلى أن توصلوا إلى اتخاذ القرار المناسب الذي يتعلق بمستقبل أليكس بمحطة فيجن وست، هذا ما اعتقدت أنه فعله. أجل، ستظل تذكر ذلك دائماً. فقد قامت هي وأليكس بتنفيذ هذه الخطة البشعة، وهي، شخصياً، تحملت أكثر مما تستطيع وسيذهب جهدهما سدىً إذا ما أوقفت كل شيء، وذلك فقط لأنها لم تكن قوية كما يجب لتتعامل مع رجل، لسبب يخصه، يبدو مصمماً على إرباكها وإفقادها توازنها.

لذلك حاولت أن تتماسك ولا تفقد أعصابها، كذلك حاولت أن تبتسم، وتفكر في خالها.

«إذاً أين التقيت أليكس؟» وراحت تراقب يديه اللتين كانتا تتحركان على إبريق القهوة، فيما هو يتابع بنبرة واثقة مدركة وكأنه كان يقرأ أفكارها: «إن القهوة باردة، هل أطلب من بريني أن تحضر لنا غيرها؟»

«ليس لي.»

شعرت بأنها مخنوقة وهزت رأسها لتصحو. جلس إلى جانبها وليس على المقعد المواجه لها، كما كان يفعل من قبل، وقال: «إذاً؟»

حاجبان دقيقان يرتسمان فوق عينيها الجميلتين، وبعد ذلك تذكرت. ليس لديه الحق في أن يسألها، طبعاً، ولها الحق في ان ترفض اخباره بأي شيء. لكن، للأسف، هذا الوغد يتحكم بمستقبل خالها المهني.

لكن كيف ستجيب؟

تقول الحقيقة. فهي ليست كاذبة. واسترجعت ذكريات من الماضي، قالت: «عندما كنت على شاطىء البحر في جامايكا، طلبت منه أن يرافقني.» وشيء ما بداخلها جعلها تضيف: «وكيف له أن يرفض؟» فرأت عينيه تتسعان بدهشة، وحركة عصبية ظهرت على طرف فمه. لقد أخبرته الحقيقة وسيكون ذلك سيئاً إذا لم يصدق.

وما لم تخبره إياه، ولا تنوي إخباره به، هو أنها كانت تبلغ من العمر آنذاك ست سنوات، وأنها كانت تلعب في الماء مرتدية سروالاً قصيراً أزرق.

فقد استأجر والدها مزرعة قديمة لمدة ثلاثة اشهر، حتى يستوحي موضوع الكتاب الجديد الذي سيؤلفه. ولقد قضوا معظم حياتهم يتجولون. لذلك فإن قضاء مدة ثلاثة اشهر في منزل واحد كانت تجربة مثيرة في حياة فين عندما كانت صغيرة. ولقاء خالها وزوجته للمرة الأولى، هناك على ذلك الشاطىء الموحش، كان أيضاً تجربة مثيرة في حياتها.

عائلة حقيقية. حتى أنها في عمرها الغض توقفت عن التفكير بوالديها كعائلة فلطالما أبعداها عن حياتهما، فوالدها منكب على عمله، ووالدتها تهتم به، سعيدة جداً لتسليم فين لأي شخص للاهتمام بها ما تيسر من الوقت.

وقد قطع خالها وزوجته مسافة طويلة جداً لرؤيتها، ليتعرفا إلى من سمعا عنها من خلال الرسائل القليلة التي كانت تصلهما من والدتها، وقد جعلها ذلك تشعر بأنها شخص مهم. ذلك لأنهما ولمدة أربعة أسابيع قاما باللعب معها، وتدليلها، والتأكد من تناولها وجبات الطعام في

اوقاتها، والاستلقاء معها في السرير وسرد القصص لها حتى تنام. شعرت ولأول مرة في حياتها الغضة أن شخصاً ما يهتم لأمرها. لذلك فقد حزنت كثيراً عندما عادا إلى لندن.

ما هم لو كانت أخبرته القليل عن حياتها، كي يغير رأيه في ما يخص أخلاقها؟

لكنه قال بصوت رقيق: «أما خطر لك أبداً أن تستقري؟ فقد أمضيت حياتك تتجولين حول العالم، ذلك حسب معلوماتي، غير أنك ذكية، وتتقنين ست لغات.»

«من قال لك ذلك؟» لقد أرعبتها فكرة معرفته حتى هذا القدر عن حياتها. فحقيقة أن يعرف أي أمر عنها جعلتها تشعر بأنها مهددة! لكنها حتى الآن لم تستطع معرفة السبب الحقيقي لذلك، والآن ليس هو الوقت المناسب لتحاول معرفة ذلك.

نظر إليها بعينين براقتين وقال: «أليكس، ومن أيضاً؟»

إذاً، لقد كان يسأل خالها عنها بنفس الدرجة التي كان يقدم له فيها الشراب بينما كانت هي في حجرة الزينة. واستأنف قائلاً: «هل يزعجك سؤالي؟ الأمر ليس سراً، أم أنه كذلك؟»

«لا، بالطبع ليس سراً.» ثم انتصبت واقفة على قدميها وتابعت: «ما أقوم به في حياتي يخصني أنا فقط.»

«قد يخصني أنا أيضاً. فكري في ذلك بينما ارشدك إلى غرفتك.»

فقالت بصوت أجش: «كيف يمكنني أن أفكر بذلك، إذا لم يكن لدي أدنى فكرة عما تقصده؟» وتمنت بشدة لو أنها لم تسمح لنفسها أبداً بالمشاركة في هذه الخطة.

لم يكن يسمع في المنزل سوى صوت وقع أقدامها ودقات قلبها القوية التي كانت واثقة أنه يسمعها.

قال بهدوء: «بالطبع تعرفين ما أقصد. لقد سبق وقلت لك انك تعجبينني. وهكذا، كما ترين أنا دوماً صريح وواضح.» ومن الطريقة التي نظر بها إليها، وكأنه رأى في عينيها ما لم تكن تعرفه حتى هي، إنحبست أنفاسها. وتابع قائلاً: «وإذا توقفت عن التظاهر من انك لا تشاركينني الإحساس نفسه، ربما نستطيع أن نغير شيئاً في الموضوع.»

شعرت فين بأنها غير قادرة على الكلام. لكنها حاولت جاهدة ذلك.

«توقف عن معاملتي هكذا! أهكذا تعامل ضيوفك؟ إذاً لا عجب في أن إحداهن لا تبقى معك أكثر من بضعة أيام.»

ارتبك سول لسماعه تلك الكلمات، لكنه عاد وابتسم ابتسامة واهية، لف ذراعيه حولها ليمنعها من الحراك، وهمس قائلاً: «لا تصدقي كل تلك الشائعات التي تسمعينها عني، يا فين. فأنت لا تعرفين شيئاً عن حياتي الخاصة، لكنك سوف تعرفين، ستكونين جزءاً منها.»

الطريقة الوحيدة التي رأت أنها تستطيع أن تخرجها من هذا الموقف الفظيع هي أن تخبره الحقيقة، كيف قررت هي وأليكس أن يعيداه إلى الأضواء، أن يقنعا الجميع أنه لايزال رجلاً مرغوباً فيه، وأنه لايزال يتمتع بجاذبية قوية لدرجة تلفت نظر الفتيات، وأنها لم ترغب في تنفيذ ذلك أبداً لكنها، حتى في أسوأ الاحتمالات، لم تتخيل أنها ستضطر لفعل هذا!

مجرد رؤيتها مع أليكس في أماكن معروفة سيعيد لفت

الأنظار إليه، وخصوصاً لفت نظر المشاهدات. هذا ما قالته جين. لكن أنظروا ماحدث!

لكنها لم تتجرأ على شرح الأمر لسول. لأنه سيشعر أنهما سخرا منه. وطبعاً سيضطر لأن يثأر لنفسه بسبب جرح غروره. وإذا ما حصل ذلك فإن لا شيء على الاطلاق يستطيع انقاذ برنامج أليكس!

تساءلت في نفسها وهي مرعوبة عما يمكنه ان ينقذها أيضاً؟ إذ أنه ليس على هذا الوغد سوى أن يستمر في توددِه إليها ليفقدها بغضبه كل ما تتميز به ويجعلها تنسى كل مبادئها.

لقد أرعبها!

«أنت محقة يا فين. ليس في نفس المكان الموجود فيه أليكس. لأنه علي أولاً أن اسوي الأمر مع أليكس قبل القيام بذلك.»

أبعدت فين رأسها إلى الوراء، وقلبها يخفق بسرعة، محاولة أن تجرد نفسها من حواسها التي تستجيب إليه وإلى ما يقوله. فقد رأته يبتسم، وكأنهما يتشاركان سراً عذباً لتشعر بعد ذلك بعينيها تشرقان لأمر أحست به ولم تكن تتوقعه عندما فتح باب غرفة النوم التي ستمضي فيها ليلتها، أضاء الأنوار. ليتركها بعد ذلك ويذهب دون أن ينطق ولو بكلمة واحدة.

دخلت بسرعة إلى الغرفة، وأقفلت الباب. كانت ترتجف وتلهث بقوة. قالت في نفسها انها قد حصلت على الخلاص. أجل، الخلاص بسلام.

إن هذا الرجل شرير، وهي لن تفاجأ إذا ما كان هذا

الحذاء الجلدي الأنيق الذي ينتعله يخبىء قدمين مشققتين!

لقد استطاعت، بالطبع، أن تعامله بنفس الطريقة التي عاملت بها أي رجل حاول أن يقوم بما حاول سول القيام به، فقد تجاهلت انفعالاته وتعاملت معه ببرودٍ تام. إذ أن سول اكرمان لم يكن مميزاً أو مختلفاً عن أي رجل آخر. لم تكن تستطيع أن تخبر سول عن حقيقة شخصيتها... دون أن تفشل خطة خالها. ولهذا السبب استطاع هذا الرجل، سول اكرمان، أن يزعزع توازنها، وليس لأي سبب آخر.

قالت فين لخالها بعد أن خرجت من غرفتها في اليوم التالي: «علينا أن نرحل حالاً، يا أليكس. وإذا قدمت السيدة برينغل لك طعام الفطور، أرفضه.»

انتعش وجه أليكس لدى سماعه كلمة فطور لكنه قال: «لكن سول... لا أستطيع الرحيل دون أن...»

فقالت مؤكدة: «لقد رحل قبل بضع ساعات.» وتمنت لو أن خالها يتحرك بخطوات أسرع من التي يتحرك بها. فهي متأكدة أن سول رحل قبل الساعة التاسعة. فقد مضى على استيقاظها ساعات عديدة، وقد راحت تتنصت إلى كل حركة كانت تحدث. فقد سمعت خطوات واثقة تتحرك في الممر حوالي الساعة التاسعة إلا ربعاً، لتسمع بعد ذلك صوت محرك سيارة. كذلك فقد سمعت صوت آلة تنظيف السجاد، وبعد ذلك صوت تلك الخطوات التي كانت تقترب من غرفتها.

ومن يدري متى سيعود سول؟ فهي لم تستطع مواجتهه، ولن تواجهه! فقد قررت أن الحل الوحيد هو أن تمحوه من ذاكراتها، ومن حياتها. وكلما استطاعت هي وأليكس

الخروج من ممتلكاته بسرعة أكبر، كلما استطاعت نسيانه بسرعة أكبر.

قالت بحسم بينما كانت تصطحب أليكس خارج المنزل: «أنا سأقود السيارة.» أغمض عينيه لشدة ضوء الشمس. تابعت بعد ذلك: «إذا لم تسرع، سأتركك هنا، فتلحق بي إلى المنزل سيراً على الأقدام!» وقد عاملته بهذه الطريقة وستعامله بطريقة أقسى لأنها تريد الحفاظ على حياتها.

ورغم أنها لم تكن مهيأة لسؤال نفسها حول هذا الأمر بعد، الا أنها كانت متأكدة من أن استمرارية حياتها الطبيعية تعتمد على عدم رؤيتها سول أكرمان ثانية!

الفصل الخامس

لكنّ الغد بدا بعيداً جداً!

بعد ان انتهت فين من نفض غبار المنزل، توجهت إلى المطبخ لتحضّر القهوة، وهي تتساءل في نفسها بين أن تقضي يومها في المدينة أم تبقى في المنزل وتقرأ كتاباً.

بالإضافة إلى كونها سوقاً قديمة تقع على مسافة بعيدة من دارتمور وصخبها، دارتمور التي يعود قِدَمها إلى آلاف السنين، الا ان تافيستوك، وكما تعرف فين تحتوي على مركز تجاري كبير حيث يشتري الإنسان كل ما يحتاجه لمنزله، هذا بالإضافة إلى قسم كبير مستحدث لبيع الألبسة، كما أخبرتها جين. وكانت فين تحب التسوّق دائماً، خاصة عندما تكون مكتئبة، على عكس غيرها من النساء اللواتي إذا كنّ مكتئبات فإنهن يلجأن إلى أكل الحلوى، أو إلى المشروباب الغازية.

لكنها لم تستطع الاستمرار في ذلك لأن قيامها بالتسوّق الآن سوف يجعلها مفلسة، ولأن عملها التالي لن يبدأ قبل نهاية شهر حزيران - يونيو في ميلانو حيث ستقوم بترجمة كتاب قصص حديثة للأطفال من اللغة الإيطالية إلى اللغة الانكليزية لمصلحة شركة نشر إيطالية، لكن المشكلة التي كانت تواجهها لدى قبولها هذا العمل الوحيد الذي تحبه هو العجز في الميزانية، الأمر الذي يعني أنها إذا لم يكن عندها

ما تدخّره، فإنه سيكون عليها أن تلجأ إلى إعطاء دروس خصوصية في اللغة لتحصل على المال، وهذا ما لا تفضّل القيام به أبداً لأنه يقيّد حريتها لوقت طويل، ثم راحت تفكر وتفكر بينما كانت في انتظار أن تغلي الماء حتى تحضّر القهوة.

لذلك فإن عدم التسوّق الآن هو أمر محسوم. وعلى أي حال لم يكن هناك سبب يجعلها تشعر بالاكتئاب. إذ ان كل الأمور قد تمّ تسويتها ما بينها وبين أليكس.

لقد كانت مرعوبة جداً عندما كانت تصطحب خالها من بيت سول أمس. لكنها لم تشعر بالخوف يوماً إذ انها كانت تنظم حياتها بالطريقة التي تناسبها، تقوم بما يحلو لها دون الخضوع لأي كان. تجد نفسها الآن مرعوبة لأن رجلاً قال لها انه معجب بها! فخافت من نفسها!

غير انها كانت تفضّل أن تكمل طريقها خلال فترة بعد الظهر كي تصل إلى هامبستيد. لكن أليكس المستلقي على المقعد الخلفي تأفف قائلاً: «لا تقولي لي اننا سنتوجه إلى هامبستيد. لا أحتمل المكوث في السيارة لساعات بعد. سنمضي ليلتنا في تافيستوك. لقد جعلت من نفسي مصدراً لسخرية الغير! هل قال لك سول شيئاً عني؟ لا... لا تقولي لي! أحتاج لأن أخلد للنوم ثانية. قد يلزمني أسبوع من الوقت كي أرجع إلى حالتي الطبيعية مرة ثانية!»

لذلك فإنهما عندما وصلا إلى منزلهما في تافيستوك، بقيا هناك. لكن تخمين أليكس بشأن حالته لم يكن صحيحاً لأنه بدا طبيعياً تماماً عند تناولهما طعام الفطور هذا الصباح.

قال شاكراً إياها على السندويش وفنجان القهوة اللذين قدمتهما له: «هل سامحتني؟»

«بالطبع. إذ يمكنك أن تتصرف بحرية مطلقة بين الحين والآخر. لكنني كنت أفكر...» لقد أمضت معظم الليل تفكر، أو بدا لها ذلك. ثم تابعت: «لا أعتقد أن هناك سبباً يجعلنا نستأنف سهراتنا في الأماكن العامة ليلتقط أحدهم صورة لكلينا معاً. أعلم أننا قلنا انه علينا القيام بتمثيل هذا الدور لبضعة أسابيع قبل أن استأنف حياتي كالمعتاد وترجع أنت إلى جين، لكن...»

فقال مقاطعاً: «أعرف ذلك.» وربت على يدها الموضوعة على طاولة الطعام، ثم تابع قائلاً: «لم تعجبكِ هذه الفكرة يوماً، لكنك ما ان وافقت حتى بدأت تبذلين كل ما في وسعك، الأمر الذي من أجله سنبقى أنا وجين ممتنين لك دائماً. وأنا أوافقك الرأي. فأنا لم يعد يعجبني ذلك أيضاً، الآن. وأي صور تُعرض لنا في الصحف أو كلام يُنشر عنا لن يؤثر على القرار الذي سيُتخذ بشأن عملي المستقبلي في محطة فيجن وست.» شرب كوب البرتقال وفنجان القهوة، ثم صبّ لنفسه من النوعين مرة ثانية وتابع بعدها قائلاً: «سأتوجه إلى بلايموث هذا الصباح، فقد علمت أن هناك اجتماعاً لمجلس الإدارة وأنّ سول سيكون هناك. إذ يجب أن أعتذر له عما بدر مني أمس، وعن رحيلنا دون أن نشكره حتى. لكنكِ طلبتِ منك مرافقتي، لكنني لا أظنها فكرة صائبة. إذ أنني أستطيع أن أفهم من طريقة سؤاله عنك الليلة الماضية، أنه مهتم لأمرك لكنني أخبرته القليل، بالطبع، دون أن أكون فظاً. وأعتقد أنه كلما كنت بعيدة عنه كان ذلك أفضل لك.»

كان على وشك الرحيل، عندما وقفت فين في مكانها والرجفة تسيطر على جسمها.

ثم سألته بصوت خافت: «ماذا تقصد؟»

هزّ أليكس رأسه مستغرباً سؤالها. وقال: «ليس صعباً معرفة ما إذا كان الرجل معجباً بامرأة، كل ما هنالك أنك فتاة بريئة، لذلك فانك لم تلاحظي الأمر. وبرغم نظراته تلك، دون أن نذكر ثراءه وقوته، الا انني لا أنصحك بمرافقته. فهو قاسي القلب ولئيم. إنه ليس من ذلك النوع الذي أتمناه لفتاتي الصغيرة.»

أضافت بسرعة وبأسى: «ولم يُشاهد قط برفقة امرأة واحدة مرتين.»

لربما هي بريئة فيما يخص العلاقات مع الجنس الآخر، لكن سول ترك لديها إحساساً لا شك فيه أنه يريدها.

لكنها لم تستطع اخبار أليكس بذلك. فهو يخاف عليها وكأنها ابنته، وإذا ما سمع ذلك فإنه سيذهب مباشرة إلى سول ويعترف له بالخطة التي كانا يقومان بها، ويخبره بأنّ ابنة أخته ليست كذلك النوع من النساء، اللواتي يقبلن القيام بعلاقة مع أي رجل يطلب منهن ذلك. وبفعله ذلك سيجعل من سول أحمق، وسيخسر أليكس أي أمل في تجديد عقد عمله في محطة فيجن وست. لذلك فقد قررت الاحتفاظ بهذا الأمر لنفسها، إلى أن ينفذ مدير البرامج وعده لأليكس. وقد كانت شاردة الذهن حين علّق خالها على ما قلته أخيراً.

«هذا الكلام ليس دقيقاً. فهو يحتفظ بحياته الشخصية لنفسه. حتى انه لم يتحدث عن انفصاله عن زوجته لأحد. ففي اليوم التالي لوفاتها استأنف عمله وكأن شيئاً لم يحدث.»

وبعد أن رأى علامات الدهشة على وجهها، هز كتفيه وقال: «هذه مجرد أقاويل، بالطبع. فأنا لم ألتقِ به إلا عندما حاز الاتحاد الذي ترأسه على الامتياز. لكن هذا الكلام وصلني من مصدر موثوق.» ثم ابتسم محاولاً تلطيف الأجواء: «هذا لا يهم. فأنت لن تريه ثانية. وحتى لو فعلت ذلك فأنت محصّنة بما تعرفين.» سوّى ربطة عنقه وسأل: «كيف ستقضين يومك؟»

راحت فين تقول في نفسها انه لم يوقف عمله رغم وفاة زوجته! ما هو سبب وفاتها؟ قلب مسحوق أم خيبة أمل؟ فهو أكثر من مهووس، إنه شرير! ثم حاولت فين أن تستجمع قواها وبدأت بتوضيب طاولة الطعام حيث تناولا طعام الفطور، وقالت بهدوء: «سأجمع أغراضي... سأحضر أغراضي التي تركتها في هامبستيد قبل أسبوع أو اثنين... واستأجر سيارة. كنت فكرت في أن أذهب إلى الكوخ وأنظفه وأجمع أغراض والدي، حتى أعرضه للبيع. لكنني سأفعل ذلك غداً.»

إنها مستعدة للقيام بأي شيء بعيداً عن ذلك الوغد، الذي تجرأ على القول لها انه سيسوّي الأمور مع أليكس. ذلك الحقير! الشرير!

«ليس هناك ضرورة لأن تستأجري سيارة، يا فين. وفّري مالك. أنا سأقلّك إلى هناك. ففكرة قضاء بضعة أيام قرب الشاطىء تبدو لي فكرة حسنة أيضاً. سأنهي ما لديّ من عمل في المحطة ومن ثم نتوجه إلى هناك. فسأساعدك في ترتيب الكوخ وتوضيبه، أتأكد من توفير كل مستلزماتك ثم أتوجه إلى إيدينبرغ لاصطحاب جين. ثم نعود أنا وإياها ثانية لنقلّك عندما تنتهين من عملك.»

لكن لا، لن تستطع الانتظار حتى الغد.

راحت تتأمل فنجان القهوة الموضوع أمامها. فهي لم تكن ترغب في شرب القهوة، إذاً لماذا حضّرته؟

رنّ بعد ذلك جرس الهاتف فتوجهت إلى غرفة الجلوس لتجيب، مسرورة لأنها وجدت عملاً تقوم به. فقالت في نفسها انه لا بد وأن يكون المتكلم هو جين، كان لديها الكثير لتقوله لها. لكن الدهشة اعترتها حين سمعت سول اكرمان يقول: «أريد أن أراكِ. سآتي لأقلك الساعة الثامنة من مساء اليوم. والأمر منوط بكِ أن تقولي لأليكس أين ستكونين.»

فأجابت دون أن تفكر بالموضوع: «لا.» فقد أدهشها غروره، وقد كان عليها أن تقفل الخط لأن صوته يثير اضطرابها.

أضاف بهدوء: «هناك أمر أودّ مناقشته معك، أمر يخصّ أليكس ومستقبله المهني في محطة فيجن وست، وأنا أرفض أن أناقشه على الهاتف. موعدنا الثامنة مساء.»

كررت ولكن ليس بدرجة الحسم ذاتها التي استخدمتها في المرة السابقة: «لا.» لقد كان يهدد مستقبل أليكس، من خلالها. لذلك لم يكن لها الحق في عدم الاستماع إليه، بغضّ النظر عما يقوله. لأنه لا يمكن أن تجعل خالها يدفع ثمن رفضها. فراحت تتساءل في نفسها، لكن العشاء؟ على الأرجح لن يكون هنا في تافيستوك أيضاً بل في مكان أكثر شاعرية في منزله الجميل. قالت: «الغداء.»

فردّ بهدوء وكانه كان يقرأ أفكارها: «إذا أردتِ أنت ذلك.»

ثم أضافت: «وليس في منزلك أيضاً.» فهي لا تحتمل كونها معه في مكان واحد منفردة. لم يكن يجب أن يُسمح له بالعيش في مثل هذا المنزل الرائع. فهو لا يتناسب وشخصيته أبداً.

«أنتِ خائفة يا فين؟» ثم سمعته يضحك، فلعنته! وتابع: «لا تخافي. سآتي لأقلك بعد ساعتين.»

ذلك يعني أنه سيأتي عند الواحدة. مسحت يديها المتعرقتين ببنطالها الجينز لكن لم يكن هناك ضرورة لأن تكون على هذه الدرجة من الاضطراب. فلن يمكنه أن يجعلها تقوم بما لا تريد القيام به.

لكن ذلك غير صحيح، لأنه أجبرها على تناول الغداء معه! فتساءلت إذا ما كان عليها استغلال هاتين الساعتين لتتسوّق وتحضّر طعام العشاء. فلم يكن هناك طعام في الثلاجة. لكنها شعرت بأنها مشوشة وغير قادرة على الذهاب لشراء ما يلزمها من اللحوم والخضر. إضافة إلى ذلك، كان شعرها في حاجة إلى تصفيف، وعليها أن تختار ثوباً مناسباً لارتدائه...

لم يكن أمامها الكثير من الخيارات، لكنها قررت أن ترتدي بنطالاً جلدياً أسود وبلوزة حريرية سوداء فضفاضة طويلة. نظرت إلى نفسها فأحست وكأنها عملاقة ومما أضاف إلى ضخامتها هو كعب حذائها العالي الأسود الذي كانت تنتعله.

لم تزيّن وجهها بالمكياج... بل اكتفت بأحمر الشفاه... وسرّحت شعرها بمشط، وأسدلت غرتها على جبهتها لتغطي حاجبيها. لتصبح جاهزة لمواجهة ذلك الرجل.

لكن ما ان اقتربت الساعة الواحدة حتى بدأ قلبها يخفق بسرعة. وقد كانت تدرك أنها ما كانت لتتوتر إلى هذه الدرجة لو لم يطلب منها ذلك! إضافة إلى انها لا تثق به، وهناك سبب وجيه لذلك، رغم جهلها للموضوع الذي يريد مناقشته معها... إضافة إلى ما ادّعى أنه يريد مناقشته، بما يتعلق بمستقبل أليكس المهني. وقد حاولت أن تهدّىء من روعها بقولها لنفسها انه لا يستطيع أن يقوم بتصرف طائش وهما إلى طاولة الطعام، على مرأى من نظر الناس.

حتى هذه الفكرة لم تخفف من قلقها عندما رنّ جرس الباب، فهرولت مسرعة إلى الطابق السفلي، وفتحت الباب لتجد سول اكرمان منتظراً، ليصطحبها بعد ذلك إلى سيارته الفخمة، ويشير لاحقاً إلى حقيبة صغيرة موضوعة على المقعد الخلفي.

«لقد طلبتُ من بريني أن تحضّر لنا هذه الحقيبة التي تحتوي على ما سنحتاجه في رحلتنا. فقد فكرت في احتمال توجهنا إلى البراري.» ثم انطلق مسرعاً قبل أن تعترض.

راحت فين تتساءل وهي مسترخية في مقعدها عن الوقت الذي سيكون فيه الحظ إلى جانبها ولا يعاكسها. فقد كان يبدو جذاباً جداً، كان يرتدي سترة جلدية فوق بلوزة سوداء وبنطال قطني أسود. وقد بدا أكثر شباباً وتألقاً من قبل، الأمر الذي يجعله اكثر جاذبية. شخص تستطيع التودد إليه.

هراء! كيف لها أن تُعجب برجل مثله؟ برجل لم يتألم لوفاة زوجته. حتى ولو كانا منفصلين، فقد كان عليه أن يبدي ولو قليلاً من الحزن والأسى.

نظرت إليه بطرف عينها والتقطت أنفاسها. وقالت في نفسها ان ملامح التسلط لا تزال واضحة على ذلك الوجه الجذاب. وتساءلت، كيف خُيل إليها أن الثياب التي يلبسها قد تُغيّر من شخصيته؟

ثم حوّلت نظرها سريعاً، لكنها لم تكن تنظر إلى ما يظهر من نافذة السيارة، بل كانت شاردة الذهن بينما كان هو يتحدث عن نظام تافيستوك الموجه. ولكنها عندما عبرا إلى الطريق العام بادلته الحديث بحذر شديد قائلة: «أنا لم أرتدِ ثياباً مناسبة لرحلتنا إلى البراري. وأنا لست جائعة أيضاً. إذاً لماذا لا تتوقف عند المنعطف التالي وتخبرني بما هناك؟» فهي لم تكن تنوي أن تمضي طوال فترة بعد الظهر برفقته في البراري، لا يحيط بهما سوى تلك الصخور الصمّاء والوهاد الواسعة.

فارتعشت فين لما تذكرته.

كانت في الثامنة من عمرها، عندما اشترى والداها هذا الكوخ الواقع غرب منطقة بولبيرو، وقد كان واسعاً لأنّ أليكس وجين أقنعا والديها بأن يكون لهما مكان يُعتبر كمكان تجتمع فيه العائلة من أجل فين.

قبل أن تنفصل عن أهلها، كانت فين تقضي عدة أسابيع في الكوخ خلال فصل الصيف وفي بعض الاحيان كان والداها يقومان بزيارتها، وذلك حسب توقيت أعمال والدها، عندما كان يتوقف عن الكتابة لبعض الوقت ليتفرغ لها. لكن أليكس وجين لم ينقطعا عن زيارتها، ليجعلا من ذلك عطلة عائلية، تعزّز الروابط بينهما التي وُلدت على شاطىء جامايكا.

وعندما كانت في الرابعة عشرة من عمرها، وخلال قضائها أسابيع من فصل الصيف في ذلك الكوخ، انضم إليها والداها. لكنّ العلاقة بينهم لم تكن جيدة بل كانت سيئة جداً. فقد كان والدها هو الذي يقرّر ووالدتها تدعم قراره، لتثور فين بسبب ذلك.

ثم قرّرا ارسالها إلى مدرسة داخلية انكليزية تقضي فيها عامين متواصلين، لتمضي أيام العطلة مع جين وأليكس. وهذا أمر لم تعترض عليه فين. لكن مدرسة داخلية؟ أن تبقى في مكان واحد عامين كاملين؟

ذلك لأنها اعتادت على التنقل من مكان إلى آخر مع والديها. وهذا مرده طبعاً إلى طبيعة عمل والدها. فقد كانت تنتسب إلى المدرسة الموجودة في البلد الذي انتقلوا إليه، وتتعلم لغة هذا البلد دون مشكلة. لكنها لم تتعلم أي شيء آخر، وقد كانت أوضاعهم المالية جيدة ومناسبة لعيش حياة حرة. لذلك فإنها لم تألف الاستقرار، خاصة إذا كانت في مدرسة داخلية انكليزية!

حباً منها بالحياة... حتى أكثر الأشخاص المحببين إلى قلبها، أليكس وجين، كانا إلى جانب والديها في ذلك القرار. أخذت ذات يوم دراجتها التي كانت تضعها على السقيفة وانطلقت في الفجر نحو براري بودمين.

لكنها لم تستمع قبل انطلاقها لنشرة الأخبار الجوية ولم تأخذ معها ثياباً اضافية. إذ ان كل ما كان يهمها هو أن تمضي يوماً بحرية تامة، بعيداً عن الراشدين الذين يجعلونها دائماً تقوم بفعل ما لا تحب القيام به. لكن الحرية التي كانت تتمناها تحوّلت إلى سجن عندما هبط الضباب، الأمر الذي

جعلها تضلّ طريقها، ويحوّل بودمين إلى منطقة شاسعة من العزلة والخطر.

وقد مضت ساعات طويلة من البرد واليأس قبل أن تصل إلى طريق فرعي بالصدفة. كانت متعبة جداً لتفكر في سلوك تلك الطريق الطويلة لتعود إلى البيت، فظلّت تمشي في ذلك الطريق الفرعي إلى أن وصلت إلى كوخ وطلبت من أصحابه استخدام الهاتف.

انطلقت جين غاضبة للبحث عنها بسيارة الجيب، وهي تتساءل في نفسها إذا ما كانت فين تدرك كم هي من الحماقة لتقطع كل تلك المسافة وحدها؟ إلى بودمين، أيضاً! حتى وصلت إلى هناك لم تبق لها القوة لمتابعة طريقها إلى مسافة أبعد، ألم تكن تعرف أن ذلك يعتبر عملاً متهوراً؟ ألم تهتم لما تسببت به من قلق لهم لأنهم لم يعرفوا مكانها، لأنها لم تترك أثراً يدلّ على مكان وجودها؟

فقالت جين موبخة فينيللا: «أنت في الرابعة عشرة من عمرك وقادرة على اتخاذ القرارات التي تناسبك بنفسك... هذا ما كنتِ تقولينه لنا! الا انك تصرفت اليوم وكأنك في الرابعة من عمرك. ألا تظنين أن الراشدين الذين يهتمون لأمرك قادرون على تحديد ما هو الأفضل لك؟»

لقد كانت فين تعرف ما تتكلم عنه، بالطبع. تلك المدرسة الداخلية اللعينة. ورغم شكّها في اهتمام والديها لأمرها، الا انها كانت أكيدة من حب أليكس وجين لها واهتمامهما بمستقبلها. لذلك وفي ذلك اليوم، استسلمت ووافقت على الخضوع لأوامر والديها. ويا للعجب، لم تندم على فعلها ذلك.

لكن الرهبة من الذهاب إلى البراري لم تفارقها. لذلك فقد شعرت أن براري ديفون التي ستتوجه إليها مع سول تشبه كثيراً براري بودمين. ولأن سول تجاهل طلبها ولم يتوقف عند المنعطف التالي ليناقش ما ادعى أنه يريد مناقشته، قالت: «أفضّل عدم الذهاب إلى البراري. أرجوك توقف عند جانب الطريق.»

فردّ مهدئاً إياها: «كما تشائين.»

نظرت إليه بطرف عينيها لتجده يبتسم. فقالت في نفسها انها كانت محقة عندما ظنت أنه يضحك عليها لأنه وجد تعليقاتها مضحكة، فهو ينوي تنفيذ ما خطط له بغض النظر عما تقوله هي. فارتعشت عندما عادت إلى نكرى حياتها الماضية، وذكرى أخرى عن البراري.

لكن براري دارت كانت خضراء وذهبية، تحضنها السماء الزرقاء الصافية. انعطف سول نحو طريق ضيق، حتى وصلا إلى مكان يغطيه العشب الأخضر، فأوقف سول السيارة. ونظر إليها. ثم قال: «لقد وصلنا إلى أجمل مكان في العالم... لأجلك فقط. إذ انك تستطيعين الاستمتاع بروعة المشهد واستنشاق الهواء العليل دون أن تضطري للسير أكثر من يارد واحد وأنت تنتعلين هذا الحذاء العالي الكعب.»

بعد أن قدّمت اعتراضها على المكان وحلّل بدوره سبب رفضها، اكتشف أنه كان عليه أن يعرف أنها لن تقبل مشاركته أي شيء... مشهد طبيعي، رحلة، أو أي شيء آخر.

لكنه كان مناوراً جيداً، وشديد الثقة بنفسه يصعب رفض طلبه. لذلك فقد قررت فين أن الطريقة الوحيدة لمقاومته هي

أن تبقى جالسة في مكانها على مقعد السيارة الجلدي، إلى أن يدرك أنه لا جدوى من اقناعها بالخروج من السيارة، فيقلها ثانية إلى تافيستوك.

وبما أن السيارة متوقفة الآن، لذلك فإنه من المستحيل أن تبقى في داخلها معه، مستحيل. لأن وعيها كان يحذّرها مما قد يحدث. تفادياً لذلك تنهدت وفتحت باب السيارة وخرجت منها لتنعكس أشعة الشمس على وجهها المتوتر، وراحت تنتظر قدومه نحوها.

خرج من السيارة وهو يحمل حقيبة وبطانية من الصوف الناعم ثم وقف إلى جانبها وقال: «لا يمكن أن يكون هناك مكان أكثر هدوءاً، أليس كذلك؟» وحتى كعب حذائها العالي لم يجعلها تناهزه طولاً، فهي بالكاد وصلت إلى كتفيه العريضتين. ابتعدت عنه وهي تلهث بسرعة رغم جميع محاولاتها للحفاظ على هدوئها وتماسكها. ثم راحت تتساءل في نفسها ما إذا كان يحاول أن يؤثر عليها بحديثه عن هدوء المكان وعزلته؟ فالمكان شاسع جداً وموحش، أي ليس فيه أي كائن. لذلك فقد رأت أنه لا فائدة من أن تحاول العودة إلى المنزل!

نظرت إليه وهو يفرش البطانية على الأرض: «لقد قلت لي ان هناك ما تريد مناقشته معي.» ثم حولت نظرها عنه بينما كان يخلع سترته الجلدية.

«أجل. لكن دعينا نتناول الطعام أولاً.»

لم تكن تستطيع أكل أي شيء، لكنها أدركت أنها كلما حاولت أن تدفعه ليقول ما يريده لها، أصرّ على تأجيل ذلك. وهو يفعل ذلك فقط ليقول لها انه سيد الموقف، الآن ودائماً.

قالت في نفسها نافية لا، ليس دائماً. لكن فقط إلى أن يُتخذ القرار بشأن مستقبل أليكس المهني في محطة فيجن وست. فعندما يتخذ لورينس ميك القرار، سول اكرمان لن يراها ثانية أبداً!

جلست بعصبية عند حافة البطانية، وراحت تتأمل المكان. قال بهدوء: «أنا لا أجرح أحداً، يا فين. إلا إذا تمّ استفزازي.»

نظرت إليه بعينين غاضبتين لترى تلك الابتسامة الساخرة مرسومة على وجهه، فشعرت بجاذبية عينيه تأسر عينيها، الأمر الذي جعلها عاجزة عن تحويل نظرها عنه، حتى عندما أضاف محذراً إياها: «إذاً، حاولي ألا تستفزيني. على الأقل إلى أن ننتهي من تناول الطعام.»

«أنا...» ولم تستطع لفظ أي كلمة أخرى، كما لم تستطع أن تتوقف عن النظر إليه. وراحت تتساءل في نفسها إذا ما كان قد أدهش كل امرأة التقاها؟ وإذا كان يملك ذلك القدر من القوة؟

قدّم إليها زجاجة من عصير البرتقال وقال: «اشربي هذا.» وراح يساعدها على فتحها، الأمر الذي جعل أصابعه تلامس أصابعها فابعدته عنها، لتعكس عينيها خوفها الشديد. لكنه ابتسم غير مبال لذلك، فقد لاحظت أن عينيه كانتا تتأملانها بامعان.

كانت فين قد أبدت عدم رغبتها في تناول سندويش من الجبنة مع العصير، وتوقعت أن يقدم لها السمك، إلا انه حتى لو قام بذلك، فإن هذا لن يغيّر أياً من آرائها السيئة فيه.

لكنها بدأت تسترخي قليلاً، ليعزز هذا الاسترخاء مرور جماعة من المتنزهين مرّوا بقربهما، الأمر الذي جعلها لا

تشعر بتلك العزلة حتى بعدما اختفوا عن نظرها. فطوت رجليها ووضعت ذقنها على ركبتيها وأخذت تنظر إلى سول الذي كان مستلقياً على أحد جانبيه، ساناً رأسه باحدى يديه.

سألها بنبرة مهذبة: «هل تشعرين بأية أحاسيس حقيقية تجاه أليكس؟» دُهشت فينيللا لسؤاله هذا. فهي قد بدأت لتوّها بالاسترخاء والاستمتاع بالنسيم العليل، وتلك العزلة التي استأنستها.

فأخذت تتساءل في نفسها عن الطريقة التي يجب أن تجيبه بها، وإذا ما كان عليها أن تخبره الحقيقة، أم تختلق له ما ليس صحيحاً؟ لكن عليها ألا تنسى تلك الأكاذيب التي زرعتها هي وأليكس في عقل سول، وحقيقة أن علاقتها باليكس ستنتهي غداً لأنه سيعود إلى زوجته جين ما أن ينتهي من مساعدة فين على تسوية الأمور المتعلقة بكوخ والديها، الأمر الذي يثبت للجمهور أن أليكس يحبّ زوجته، وليس أي شخص آخر بسبب وجود تلك الحقيقة، قررت فين أن تقول له بعض الأكاذيب.

«إنه رجل رائع، مسلٍ وجذاب.» لكن نبرة صوتها كانت تقول ان ذلك كذب، لذلك فإنها لم تنظر إليه. إذ ان عودته لزوجته تعني أن علاقتها باليكس ليست كما تدّعي وكما تحاول هي وأليكس أن يقولا للرأي العام.

يا له من موقف سخيف! ليصبح هذا الموقف أكثر سخافة، حين قال لها سول باشمئزاز: «لكنه لا يناسب عمرك. غير اني اعتقد أن ذلك غير مهم بالنسبة لك، طالما هو قادر على أن يعطيك ما تريدينه من مال.»

قالت بعصبية حادة: «أنت مقرف.» تذكرت بعد ردّها هذا أن سول لا يُلام على قوله هذا، إذ انها وأليكس حاولا، بمساعدة الصحافة أن يزرعا هذه الفكرة في عقول الناس. لذلك فإنهما هما الملامان!

خبّأت عينيها المرتبكتين بعيداً عن نظرات تلك العينين الحانقتين، ثم عادت فوضعت ذقنها على ركبتيها مخبئة رأسها بذراعيها، وقالت: «ليس الأمر كما يبدو. أنت لا تستطيع أن تفهم.» وهذه هي الحقيقة، لكنها لا تجدي نفعاً. فتساءلت في نفسها لماذا لم تقل له ان ذلك ليس من شأنه؟ لماذا لم تتوجه نحو السيارة مرفوعة الرأس وتطلب منه أن يقلها إلى تافيستوك ثانية؟

وفجأة شعرت فين بأنها لا تستطع أن تفهم ما بها أبداً، الأمر الذي جعلها مرتبكة ويائسة، فقد أحست بورم في حنجرتها يمنعها من الكلام، ومن الرد على ما قاله بهدوء: «إذن أفهميني، يا فين. أخبريني كيف.»

لم تجب... ونظرت إلى الفراغ... إلى اللاشيء... وفوجئت به يقول: «اتركي اليكس وابقي معي.»

الفصل السادس

شعرت فين بأن سول قد سيطر عليها بسحره وجاذبيته اللذين لا يمكن مقاومتهما. وهي لم تشعر من قبل بهذه الدرجة من الإنجذاب، لأن علاقتها مع راي ظهرت لتكون لا شيء سوى وهم، تاركاً إياها وفي داخلها احساس بالحرج، الندم والحزن.

لكن هذا السحر، هذه الجاذبية..؟

سألها: «هل يمكنك أن تكذبي عليّ الآن؟» فارتجفت ولم تجب، وكأنها لم تفهم سؤاله بعد. فقال: «واجهي الحقيقة، فأنت معجبة بي كما أنا معجب بك. كلانا يعرف ذلك منذ اللحظة الأولى للقائنا. اعترفي بذلك.»

فتنهدت بصوت خافت: «آه...» فقد كانت عيناه كبحر عميق تستطيع الغوص فيه. كانت تشعر بنبضها السريع وكأنه يحرضها على مقاومة سيطرة هذا الرجل عليها، دافعاً إياها لمراجعة عقلها.

إنه شرير. فقد دخل إلى أعماقها واكتشف كل تلك العواطف المكبوتة. وهي لم تكن تعرف ذلك أيضاً. لكن نظرة واحدة منها جعلته يكتشف ذلك. لقد بدا وكأنه شيء غريب، سر عرفه بنظرة واحدة من عينيه الحانقتين واستخدمه ليوقع بها.

لكن ذلك لم يكن أمراً يمكن احتماله!

انتصبت واقفة على قدميها، وهي تلهث بأسى فقد كان

جالساً هنا، وفي عينيه بريق الانتظار عندما سألها: «لماذا؟ لماذا تقاومين هذا الاعجاب المتبادل؟»

اعجاب؟ أهذا ما كان عليه الأمر؟ هل هي وخلال بحثها المتواصل عن الأسباب التي تجعلها تكرهه وتحتقره كانت تحاول أن تخفي حقيقة اعجابها به منذ اللحظة الأولى التي وقع فيها نظرها عليه؟ آه، هل كان هذا السبب الحقيقي لثورتها؟

بدأت تعتقد أنها لم تكن تعرف نفسها نهائياً، وبدأت ثقتها بنفسها تتزعزع، ثم راحت تقول في نفسها إنه إذا كان يظن أنه يستطيع منعها من الذهاب، فهو مخطىء. غير أنها لم تستطع الحراك حتى ولو كانت حياتها متوقفة على قيامها بفعل ذلك.

قال لها: «أعطني سبباً واحداً مقنعاً، لماذا لا تريدين الافصاح عن مشاعرك؟» فنظرت إليه لتقع تحت تأثير سحره ثانية، فتحاول جاهدة مقاومة ذلك الاحساس الداخلي الذي كان يطلب منها أن تنسى كل شيء.

لكنها كانت تفهم ما يقصده، والأسوأ، ما كان يفكر به. فهو يظن أنها من ذلك النوع من النساء المستهترات. إذاً، لقد وقعت فينيللا في الفخ الذي نصبته هي، وأليكس، وجين.

هناك طريقة واحدة للخروج من هذا المأزق، حتى ولو كان ذلك يعني أن تؤكد الأكاذيب أكثر وأكثر بنفسها. وذلك لأنه لم يحن الوقت المناسب بعد لاخبار سول بالحقيقة. ولا يمكن أن تقيم علاقة معه، حتى إذا أرادت هي ذلك... الأمر الذي اكدت عدم رغبتها فيه لنفسها... لا سيما وهو يظن أنها ليست سوى لعوب!

«أليكس هو سبب مقنع.»

رغم أنه كان لا يزال يبتسم، الا أنها لاحظته يجفل لسماعه ذلك.

«ما كل هذا الوفاء! لقد تأثرت. إنه نادر، حسب تجاربي.» ثم توقف عن الابتسام وتابع قائلاً بازدراء: «وماذا عن الوفاء الذي يكنه أليكس لزوجته؟ أو أن ذلك غير مهم؟ حتى ولو كان هناك أية أحاسيس في داخلك تجاهه، فإنك ستودعينه يوماً ما، ليعود إلى جين.»

قالت فين بنبرة حادة: «هذا رأيك أنت. هل ستكون مهتماً إلى هذه الدرجة لأن تراهما سوياً لو لم تكن تريدني أن أكون معك؟»

«على الأرجح، لا.»

تفاجأت فين لصراحة سول. شعرت بإمتعاضه حتى دون أن تنظر إليه عندما استجمع قواه ثانية وحاول ممازحتها ثانية.

غير أنها لم تكن لتعطيه هذه الفرصة مجدداً، فتوجهت إلى السيارة، ولحق بها ببطء، ونظر إليها نظرة قاسية وقال: «بما أنك لا تريدين الاستماع إلى ما تطلبه منك مشاعرك، فسأطلب منك ذلك بطريقة ثانية. أنا غير مرتبط، لكن أليكس متزوج، وعاجلاً أم آجلاً سيعود إلى زوجته. لذلك لربما يكون عليك أن تعودي إلى عملك الروتيني كي تعتاشي. ابقي معي، ولن يكون عليك الشعور بالذنب حيال أليكس. فأنا سأوافق على تجديد عقد عمله في المحطة من طرفي.»

«هذا ابتزاز!» ثم اتكأت على السيارة وأجهشت بالبكاء. لكنها مسحت دموعها بسرعة حين سمعته يقول.

«بالضبط.»

«لكنك حتى لا تحبني!» وارتبكت من شدة هدوئه، فقد فتح باب السيارة ورمى البطانية والحقيبة التي كانت تحتوي طعام الغداء على المقعد الخلفي، دون أن ينظر إليها، أو يحاول أن يقنعها مستخدماً جاذبيته.

«إذاً؟ كيف لي أن أحب أحداً لا أحترمه؟ الأمر الذي لا استطيع أن امنحك إياه.» ثم فتح باب السيارة وانتظر دخولها إلى السيارة، لكنها جفلت في مكانها لسماعها تلك الإهانة.

أخذت تنظر إليه وتتأمل ملامحه، محاولة دون جدوى أن تجد سبباً منطقياً لدوافعه. وعندما قال: «ومهما يكن، أنا متأكد من أنني سأعوضك عنه.» غضبت جداً ودخلت إلى السيارة وقالت له بتكبر: «لا تقايضني على ذلك. ربما كنت معتاداً على شراء النساء اللواتي ترافقهن... فعلى الأرجح هي الطريقة الوحيدة التي تحصل بها عليهن. أما أنا فلم ولن تستطيع شرائي. أو ابتزازي. وإذا كان لك قلب، وبدأت تفهم أن العلاقة بين شخصين هي أكثر من مجرد لقاء عابر، إتصل بي عندها سأرى إذا ما كنت استطيع لقاءك.»

هذا كل ما سيكون في الأمر بالنسبة إليها. وهي تظن بسبب صمته الرهيب خلال عودتهما إلى تافيستوك أنه حتى لن يفكر في أن يتصل بها أبداً.

«الآن، هل أنت متأكدة أنك ستكونين بخير؟ هل لديك كل ما تحتاجين؟»

«بالطبع، أنا متأكدة.» فلديها المكان والحرية والوحدة

التي تحتاجها في هذا الوقت بالتحديد. انحنت وقبلت خد خالها الجالس في السيارة ثم أبعدت رأسها حتى أدار المحرك وقالت: «قد السيارة بحذر وتوقف عند حلول الظلام... لا تحاول ان تقود إلى اسكوتلاندا مباشرة!»

ابتسم وقال: «سنتصل بك بعد اسبوعين، عندما نعود إلى تافيستوك، وسنأتي لنقلك حين تنتهين من القيام بكل ما تريدين القيام به هنا.» ثم ذهب سالكاً طريقاً ضيقاً تكسو أحد جانبيه الأعشاب الطويلة.

قضى في الكوخ يومين بصحبة فين، وهو يتحرق شوقاً للوصول إلى إيدينبرغ ليرى جين التي يفتقدها بجنون وهي تبادله الشوق بنفس الدرجة. ورغم أنهما لم ينجبا أطفالاً، الا أن زواجهما بقي موضع حسد الكثيرين. وما ان اختفى أليكس عن الأنظار حتى عادت فين أدراجها إلى الكوخ.

كانت فينيللا عابسة، وركلت حجرة في طريق عودتها إلى الكوخ وهي تضع يديها في جيبي بنطالها الجينز. ورغم محاولة خالها إخفاء ذلك، الا أنها عرفت أنه كان قلقاً بشأن تجديد عقد عمله. فقد أخبرها أليكس بأن سول لم يحضر اجتماع مجلس الإدارة، لذلك فإنه لم يستطع التحدث إليه والإعتذار منه بسبب الطريقة التي غادرا فيها منزله دون أية كلمة شكر. لكنه ترك له رسالة صغيرة مع سكرتيرته، وتمنى أن يكون ذلك كافياً.

وفين لم تجرؤ على إخباره بأنها تعرف ان سول غيب نفسه عن الاجتماع ولماذا، كي يكون لديه الوقت ليمضيه برفقتها، عارضاً عليها أن يقدم لأليكس عقد عمل جديداً كي

يغريها. وكيف يمكن لها أن تعترف لأليكس بأن ما قالته لسول يعني أن تجديد العقد هو آخر أمر يجب أن يفكر فيه.

لقد حصل كل ذلك بسبب جاذبيته. فلو لم يرها سول برفقة أليكس... ورغب بها، ظنا منه أنها امرأة متهورة لعوب، لما كان حصل ما حصل.

فلو رآها فقط برفقة أليكس، وقرأ ما كتب عنهما في الصحف... دون أن يعجب بها أو أن يتقرب منها... لكان صدق بأن أليكس ليس عجوزاً غير مرغوب فيه مثلما تؤكد الإحصاءات، وشاهد ما كانا يقومان به بعينيه الساخريتين لكان سار كل شيء وفق الخطة التي رسماها.

قررت فين أن تزيل من عقلها كل الأفكار التي تتعلق بسول أكرمان، بما فعل بها والإحساس الذي أوجده عندها. ثم فتحت البوابة الصغيرة التي تعبر خلالها إلى الحديقة الصغيرة وراحت تتنشق نسيم الصباح العليل، لتباشر بعد ذلك القيام بما عليها القيام به.

كان الكوخ مبنياً من الحجر، تحده من الجهة الخلفية تلة خضراء، تحجب سقفه الخشبي، وتطل على ممر صخري حيث كان سكان البلدة المحليون يدخرون ما يحصلون عليه من البحر. كانت القرية الصغيرة تقع على مسافة نصف ميل، وتمتد إلى طريق مرتفع ضيق لتصل إلى التلال المشجرة التي تحجبها عن الأنظار. والدليل الوحيد على وجودها هو تصاعد الدخان من مداخن بعض المنازل من بين الأشجار.

قالت في نفسها وهي تعبر الباب الأمامي للكوخ، انه سيكون من الصعب بيعه بسبب موقع القرية. هذا الكوخ الذي امضت فيه اياماً رائعة خلال فصل الصيف مع خالها

وزوجته عندما كانت لاتزال طفلة وقد كانت تلك العطل التي أمضتها هي الأمر الوحيد الثابت في حياتها عندما كانت صغيرة، والكوخ هو المكان الوحيد الذي يمكن وصفه بمنزل دائم.

لم يقترب أحد من هذا الكوخ خلال الأعوام الأخيرة سوى جين وأليكس، اللذين كانا يأتيان إليه بين الحين والآخر للتأكد من أن كل شيء لا يزال على ما يرام.

خلال اليومين اللذين قضاهما أليكس وفين في الكوخ، قاما بتنظيفه من الغبار، وتهوئته، إضافة إلى شرائهما ما يكفي لمدة اسبوعين على الأقل. وإذا ما احتاجت إلى شيء، فما عليها سوى عبور ذلك الممر نحو القرية. إذاً، لم يكن هناك ما يؤخرها من إتمام عملها.

وبعد صعودها درج الكوخ الداخلي اللولبي والعاري من السجاد، دخلت إلى الغرفة التي اختارت البقاء فيها خلال اقامتها في الكوخ. لكنها عندما كانت طفلة، كان لها غرفة صغيرة جداً، وكان لأليكس وجين ما سمي في حينه غرفة الضيوف، أما الغرفة التي كانت تشغلها الآن فقد كانت لوالديها عندما كانا يمضيان بعض الوقت برفقتها في الكوخ خلال فصول الصيف الخوالي.

لكن هذا لم يكن يستحق بكاءها، لأنه ليس بأمرٍ جديد، لطالما شعرت أنها متطفلة في حياة والديها. أما ما يستحق أن تنزعج لأجله الآن هو أكوام الصناديق المكدسة في أسفل الخزانة القديمة!

وتذكرت أنه عندما توقف سول وسط منطقة تافيستوك لتنزل من السيارة، بناءً على رغبتها، لم تفكر في شيء سوى

التوجه لشراء السمك لتحضير طعام العشاء، لكنها ودون أن تشعر وجدت نفسها في محل الأزياء الذي أخبرتها عنه جين، وبسبب الحديث الذي دار بينها وبين سول في البراري، قامت بشراء الكثير من الحاجيات دون تفكير، ليصبح حسابها المصرفي صفراً، الأمر الذي سيضطرها إلى إعطاء دروس خاصة لتحصل على المال.

لقد كان كل ذلك بسبب سول أكرمان! إذ أنه لو لم يتسبب لها بهذه الدرجة من الإضطراب، لما كانت قامت بهذا.

بدأت بتفريغ إحدى الخزائن القديمة وفرز الأوراق والكتب الخاصة بوالدها وهي تتذمر بشدة لفعلها ذلك.

بعد مرور ساعات عديدة، كانت لاتزال تعمل على ما طلبته والدتها، فالأوراق والكتب الخاصة بوالدها أصبحت الآن جاهزة لتنقل إلى تافيستوك، ومن هناك إلى أوستراليا حيث والدتها. أما القمامة فقد وضعتها في صندوق مخصص لها. وقد كان ذلك بداية لما عليها القيام به.

رفعت فين غرتها باصابعها المتسخة وجلست على الأرض، وعبست عندما سمعت صوت سيارة يخرق هدوء المكان خلال فترة بعد الظهر.

من المؤكد، أنه ليس من سكان القرية. لأنه لو كان من سكان القرية الذين يريدون التوجه إلى الممر، لكان توجه إلى هناك سيراً على الأقدام إذاً لا بد أن يكون في هذه السيارة أشخاص جاءوا إلى القرية لقضاء العطلة، رغم أن ذلك نادر حدوثه. فقليل منهم من كان يعبر الطرق الضيقة المؤدية إلى القرية، والمنحدر المؤدي إلى الممر الضيق كان كفيلاً بجعل من يعبره لا يحاول الكرة مرة أخرى.

ودون أن تفكر بأي احتمال آخر، انتصبت واقفة على قدميها وحاولت أن تخفف من آلام ظهرها، فقد حان وقت الاستراحة. وما ان وصلت إلى منتصف الدرج نزولاً حتى لاحظت هدوء المكان ثانية. فقد توقفت السيارة، أو سلكت الطريق الأخرى. ثم تنهدت حين سمعت أحداً يقرع الباب.

لا بد أن يكون عابر سبيل، أو شخصاً يسأل عن مكان ما، أو كما حصل ذات مرة أن طلب أحدهم فنجاناً من الشاي.

فقالت بينما كان الباب يقرع للمرة الثانية: «أنا قادمة.»

وحاولت ألا تبدو عابسة وهي تتجه نحو الباب بخطوات سريعة لتفتحه، لأن أهل بلدتها مشهورين بحسن استقبالهم وضيافتهم، وهي لم ترد أن تظهر عكس ذلك.

لكن ابتسامتها تلك إختفت عندما رأت من كان يقف على عتبة بابها، الذي كان يرتدي بذلة عمله الرسمية وحذاءه الجلدي اليدوي الصنع، ليبدو الشخص بذلك الزي غير مناسب للمكان الموجود فيه.

«أنت!» وقد أدركت فين أن صوتها بدا وكأنه صراخ، لكنها لم تستطع فعل شيء حيال ذلك. فهي لم تتوقع أن تراه ثانية بعد كل ما قالته له. غير أن خفقان قلبها السريع يدل على انها كانت ترغب في رؤيته مجدداً، هذا بالاضافة إلى صعوبة التقاطها لأنفاسها.

نظر إليها نظرة فاترة وقال بصوت هادىء: «إذاً، لقد قرر أليكس أن يسوي أموره بوضوح.» وتأمل داخل الكوخ ثم قال: «معزول... أين هو؟» فذهلت لسماعها هذا، لكنها سرعان ما استعادت تماسكها.

راحت تلوم نفسها لماذا تساءلت إذا ما كانت في سرها

تتمنى رؤيته ثانية؟ فهو بالنسبة لها لم يكن يساوي شيئاً.

فقال عابساً بعد أن نفد صبره: «أين هو؟»

فردت بهدوء: «ليس هنا.» لكنها اضطربت عندما دخل إلى الكوخ، وتوجه نحو غرفة الجلوس وراح يتأملها وكأنه يتوقع أن يرى أليكس مختبئاً خلف أحد المقاعد البالية.

«لا يمكنك الدخول إلى منزلي بهذه الطريقة حتى دون استئذان.» فقد تعلمت منه، كونها أمضت برفقته بعض الوقت، إطلاق التهديدات الفارغة.

راح يتأمل محتويات الكوخ البسيطة، إلى كومة الحطب التي أحضرها أليكس لفينيلا أمس ووضعها قرب المدفأة. وقال: «لقد اعتقدت أن شقة صغيرة في المدينة تناسبك اكثر، لكنني أستطيع أن أرى جاذبية العزلة التامة... من وجهة نظره.»

لقد سمعت فين منه ما فيه الكفاية. صحيح، لقد قدمت له كل الدلائل لتثبت له أنها على حق فيما يظنه بها، لكن هل كان هناك ضرورة لأن ينهال عليها بالإهانات بهذه الكثرة وبهذه القسوة؟ لذلك، فقد قررت أن تضع حداً لذلك.

«أليكس ليس هنا، لذلك فأنت تضيع وقتك ووقتي. وهذا المنزل هو ملك لوالدتي. أنا هنا، بناءً لطلبها، لأعرضه للبيع بعد توضيب ما فيه. وأنا أطلب منك الرحيل.»

فرمقها بنظرة ملية هادئة وقال: «وأنا لست راحلاً.»

فارتبكت لسماع ذلك، لكنها أعجبت بغروره المتجاوز الحد بينما كانت تفكر بطريقة تجعله يرحل. لكانت طلبت الشرطة لتبعده عن منزلها، لو لم يكن عليها عدم فعل ذلك لأجل خالها ومستقبله المهني في فيجن وست! وبما أن

الأمر كذلك، فلم يكن أمامها خيار آخر سوى أن تسأله بتأفف: «ما الذي تريده؟»

فشعرت بقلبها يخفق بسرعة، وبانحباس انفاسها. وذلك بسبب وجودهما في مكان واحد. وشعرت بدفء الهواء الذي كانت تحاول تنشقه عندما تنهد مبتسماً، بعد لحظات قليلة قلقة، وقال: «أنت تعرفين ما أريده. فقد كررت طلبه مرات كثيرة.»

الفصل السابع

سألت مستدركة: «من أرشدك إلى هنا؟» لقد كان عليها أن تقول شيئاً إذ لا يمكن أن يقفا هكذا وأحدهما يحدق بالآخر! فالصمت الذي خيم عليهما، والطريقة التي كان ينظر فيها سول إليها... كان فيها من الفرح ما يدل على أنه قد تسلم للتو أحد ممتلكاته الجديدة. وكانت تزيد من إضطراب فين وتوترها.

«لم يكن ذلك امراً صعباً. فأليكس لم يكن ليخفي شيئاً.» ثم ابتسم وتابع: «لقد ترك عناوين وأرقام هواتف الأماكن التي يمكن الاتصال به عليها خلال الليلة التالية مع سكرتيرة ميك. فجربت عنوان هذا المنزل اولاً. فقد تخيلت أنه سجل عنوان المنزل في إيدينبرغ لأنه لم يكن متأكداً من بقائك هنا، أليس كذلك؟ لأنه لم يكن متأكداً في أي منزل سيكون، وهو ينتظر سماع ذلك القرار بفارغ الصبر.»

راح يتمشى في الغرفة، فأحست فين بالإرتباك، لكنها تماسكت رافضة أن تظهر له أن وجوده يؤثر عليها. إلا أنه لم يقترب منها، فقد بدا مهتماً اكثر باللوحات الزيتية المعلقة على الحائط، والتي اشترتها جين من رسام هاوٍ في سانت إيف، فقط لأنها أشفقت عليه.

«لقد سمعت أن جين ذهبت إلى ايدينبرغ عندما نشرت الصحف عن علاقتك به في صفحاتها الأولى. فقد نشرت إحدى الصحف أنها عادت إلى منزل والدتها.» بدا وكأنه لا

يزال مهتماً باللوحات اكثر من اهتمامه بها، أو بما كان يقوله. فقد كان ينظر إلى اللوحات محاولاً ان يرى ما هو أعمق مما هو واضح فيها.

لم تطمئن فين للجو المريح الذي خيم على المكان، والطريقة المنطقية التي كان يتكلم بها. وقد كانت محقة في ذلك، فقد استدار نحوها وراح ينظر إليها نظرات جعلتها تعجز عن الحراك وسألها: «هل ذهب لرؤية جين في أيدينبرغ؟»

فهزت رأسها ايجاباً، غير قادرة على تحويل نظرها عن تلك العينين البراقتين. كان قلبها يخفق بقوة، وقد يستمر ذلك وقتاً طويلاً قبل أن تضع نفسها في موقف كهذا مرة ثانية، أو بالأحرى، إلى الأبد.

لكنها حاولت ان تطمئن نفسها بأن ذلك غير مهم. فهو سيعرف بعد فترة قصيرة أن أليكس عاد إلى زوجته ثانية عندما ينشر ذلك، الأمر الذي سيجعل سول يعرف أن عودة أليكس إلى جين لن تزعجها، بالطبع؟

فهي تريد أن تنتهي تلك اللعبة القذرة، كي تتمكن من متابعة حياتها، دون أن يستمر سول في وصفها على أنها امرأة لعوب. أرادت أن تقول له الحقيقة، لكنها لم تستطع لأنه لم يحن الوقت لذلك بعد، ليس قبل أن يتخذ ذلك القرار.

فهي تريد إخباره الحقيقة ليس لأنها ستؤدي إلى إحداث أي فرق، ثم أن الإنجذاب المسيطر عليهما لم يكن ليتطور إلى أي شيء آخر، لكنها فقط كرهت ما يظن أنها عليه.

غير أن انزعاجها بدا على وجهها، لأن سول القاسي القلب، سألها بلطف غريب: «هل ذهب إلى ايدينبرغ لأنه هو

من أراد ذلك أم أنت دفعته لذلك؟ أعرف أنه ليس بالأمر السهل ان تخبريني أنه قرر الذهاب وتركك هنا. لكنني سأكون ممتناً لك إن اخبرتني الحقيقة.»

حدقت به فين وتساءلت في نفسها ما الذي يهمه في ذلك؟ ثم وضعت يديها في جيبي بنطالها الجينز القديم المتسخ بينما كانت تتمنى في نفسها لو لم تكن تظهر بتلك الهيئة المتسخة.

فقالت عندما رأت ذلك العبوس بادياً على جبهته ظناً منه أنها لن تجيب: «لقد كان قراراً مشتركاً. لقد افترقنا متفقين على دوام الصداقة.» لم تكن تكذب. فقد خططت هي وخالها أن يمضي برفقتها يومين في الكوخ ويساعدها على توضيبه ومن ثم يتوجه إلى إيدينبرغ. وهي لا تذكر يوماً أنها وخالها لم يكونا فيه صديقين.

وعندما رأت فرحة الانتصار في عينيه، أدركت المأزق الذي أوقعت نفسها فيه. إذ أنه كان عليها أن تجهش بالبكاء وتنوح، وتقول لسول ان أليكس تركها لأنه سئم منها، وأنها لن تستطيع أبداً نسيانه، وأنها محطمة الفؤاد، وتطلب منه أن يرحل ويتركها وحدها مع احزانها.

لكنها عوضاً عن ذلك...

«إذاً يبدو أن هناك الكثير من الكلام علينا مناقشته أنا وأنت.»

لكنها لم تكن ترغب في سماع ذلك. فقد كان عليها أن تفكر انه لدى معرفته بانتهاء علاقتها مع أليكس، فإن سول لن يجد من سبب يمنعه من أن يحل مكانه.

وفجأة، شعرت وكأن الهواء قد نفد من الغرفة، رغم أنه

كان يحرك الستائر التي كانت تغطي شبابيك الغرفة المفتوحة. فخرجت من الكوخ، وجلست على المقعد الخشبي الذي يغطي بالإضافة إلى الطاولة معظم مساحة حديقة الكوخ الأمامية الصغيرة.

وقد كان في استطاعتها أن تسمع صوت دفق مياه النهر نحو البحر، وكذلك هدير الأمواج التي كانت تهمس حين تلامس رمال الشاطىء وترتطم بالصخور. لكن كل تلك الأصوات الرقيقة المهدئة بالإضافة إلى دفء أشعة الشمس التي كانت تلفح جسمها، وتومض حين تضرب التلة المواجهة للكوخ والمغطاة بالأشجار وسنابل القمح الذهبية، كل ذلك فشل في تهدئتها.

إذ لم يكن هناك ما يمكنه أن يجابه ذلك التوتر الداخلي، ذلك الاحساس بأنها مطاردة من قبل صياد محترف حدد مكان فريسته. إن الأمر كله مسألة وقت.

لذلك فإنه حين لحق بها كما توقعت، كانت في داخلها رغبة جامحة في أن تصرخ بوجهه. لكنها سيطرت على نفسها، وبكل هدوء، ودون أن تنظر إليه، قالت: «أعتقد أنه عليك أن ترحل، أليس كذلك؟ فأنا أعتقد أنه ليس هناك ما نتحدث بشأنه.» غير أنها كانت تشعر بيأس شديد، لأنها مهما قالت فإن ذلك لن يؤثر على سول أكرمان، وهي تكره هذا الاحساس بالغضب.

وقف مواجهاً لها وقال بصوت ودود جعلها تشعر بالقشعريرة: «ألا تستطيعين أنت؟»

لكن فين تورد خداها عندما رأت تلك الابتسامة التي ارتسمت على فمه.

فقال وهو ينظر إليها بعينين حاذقتين: «استرخي. فإننا لن نتكلم الا عندما تصبحين قادرة على ذلك. نحن لسنا على عجلة من أمرنا.»

لقد تلاشت قدرتها على الاسترخاء في مهب الريح في اللحظة التي وصل فيها إلى الكوخ. لكنها لم تستطع الاعتراف بذلك. لأن ذلك سيؤكد له أكثر وأكثر أنه سيد الموقف، أنه، وبإشارة واحدة منه، يستطيع أن يجعلها تقوم بأي شيء يريدها أن تقوم به.

فحولت نظرها عنه لتقاوم سحر وجهه، ونظرت إلى الأفق. إلى مياه البحر الزرقاء التي تظهر من بين التلتين المواجهتين اللتين يتخللهما الممر وتعلوهما صخور الصوان.

«يمكن أن يكون أمامك متسع من الوقت، أما أنا فلا. إذ أنني لست هنا لقضاء عطلة، بل للعمل.»

«تقومين بماذا؟ بتنظيف المداخن؟» فقد لاحظ هيئتها المتسخة، ثم تابع وكأنه لم ينزعج من هيئتها: «إذا كان لديك ما تقومين به، فربما يمكنني المساعدة.»

لكنها ردت بسرعة: «ماذا، في هذه البنلة؟»

«يمكنني إيجاد حل لذلك. فأنا استطيع أن اتوجه إلى البيت وأحضر ثياباً أخرى وأعود خلال ساعة.»

فقالت في نفسها انه لا شك يستطيع القيام بذلك بفضل سيارته هذه، لكنها لماذا لم تحاول أن تقنعه بأنها لا تريد ان تراه في أي مكان هنا؟

«انك تضيع وقتك سدىً.» ثم انتصبت واقفة على قدميها، وتظاهرت بأنها تتثاءب وغطت فمها الجميل بأطراف

أصابع يدها. لربما إذا اعتقد أنه سبب لها الضجر، قد يتركها ويرحل. إذ أن غروره لن يتقبل ذلك. وأضافت: «فأنا فقط أعرف أياً من كتب وأوراق والدي، تريد والدتي الاحتفاظ بها.»

ثم تركته محاولة ألا تظهر قلقها، لأنها تتوقع أن يوقفها، لكنه لم يكن في حاجة لذلك. فقد أوقفها صوته ومنعها من الدخول إلى الكوخ.

«إذاً، كنت تقولين الحقيقة. لم يحتجزك أليكس هنا. هذا الكوخ هو ملك لوالديك؟»

«لوالدتي. أنا أملك بيتاً، سواءً أصدقت ذلك أم لا. أنا لم آتِ إلى هنا هرباً من الشتاء.»

«أنا لم أتخيل أنك فعلت ذلك.» ثم انتصب واقفاً على قدميه وتابع قائلاً: «اعتقدت أنك فعلت ذلك من أجل البقاء برفقة نجم لامع ثري، متخفية بدور خادمة. لقد ظننتك تكذبين، تحاولين اضفاء جو من الإحترام على المنزل.»

فتنهدت وقالت: «أعرف أنك ظننت ذلك.» ثم قالت في نفسها هل سيظل يفكر بها بهذه الطريقة؟ انها امرأة لكل المنازل، تخطف الزوج من زوجته، وكاذبة.

أخذ فمها يرتعش لكنها عضت على شفتها السفلى لتوقف ذلك. إذ أنها تساءلت ما هم ما كان يظن أنها عليه؟ ثم توجهت نحو الباب، لكنه سبقها واعترض طريقها.

«وهي، أليست هنا؟ أقصد والدتك.» ثم ركز نظره في عينيها فأخفضت رأسها، وراحت تحدق بقدميها، لأن ذلك كان أسهل من أن تراقب الطريقة التي كان ينظر بها إليها... وقد كانت رغبتها في الكذب، في أن تقول له أجل، إنها

هنا، تأخذ قيلولة بعد الظهر، وأنها ستستيقظ في أية لحظة، وستتوجه إلى الطابق السفلي وتطلب أن تتعرف إليه، وتدعوه لشرب فنجان من الشاي وتضجره بحديثها، كانت رغبتها قوية جداً، إذ لربما ساعدها ذلك على التخلص منه.

لكنها كانت تعلم أنها لا تستطيع أن تكذب عليه، ولا حتى اخفاء الحقائق عنه كما فعلت في السابق. لماذا تعلن له عن أمور تغير تلك الأفكار الفظيعة التي يحتفظ بها عنها؟

«إنها تعيش في أوستراليا. ولماذا تسأل؟»

لكنه تجاهل سؤالها، وطرح سؤالاً آخر: «ووالدك؟» فنظرت إليه وتساءلت في نفسها، ألن يستسلم؟

«لقد توفي.»

فقال وفي عينيه نظرات ملؤها الشفقة: «أنا آسف.» فين لم تكن في حاجة لشفقته تلك ولن تتقبلها. وعلى أي حال، إنها لا شيء سوى نظرات زائفة.

«لا تكن كذلك. فنحن لم نكن أبداً على علاقة جيدة. فبالنسبة له أنا لم أكن سوى عائق. والدتي هي التي في حاجة لشفقتك تلك، فهي تواجه صعوبة في العيش دونه!» ثم أوقفت نفسها عن الكلام فجأة، وتورد وجهها من شدة الغضب. وتساءلت في نفسها بأي حق تقول ذلك؟

إن علاقتها السيئة مع والديها، وخصوصاً والدها، لم تكن تعني أحداً بل تعنيها هي وحدها. فهي لم تناقش ذلك مع أحد أبداً، ولا حتى مع خالها وزوجته، لأنهما كانا هناك كلما استطاع أليكس ذلك، ليراقب ما يحدث بالدرجة الأولى، ويحاولا القيام بأي شيء يستطيعان القيام به لتسوية الأمور. لذلك لم تكن هناك حاجة فعلية لمناقشة ذلك مع سول.

لماذا تخبره عما يخالجها؟

«عذراً. أنت تقف في طريقي. لدي من العمل ما أقوم به. أغلق البوابة بعد خروجك.»

لم تكن لديها فكرة واضحة عما ستكون ردة فعله. لكنها بالتأكيد لم تتوقع أن ينفذ ما قالته حرفياً. لقد توقعت أن... لم تعرف ماذا، لكن ليس سماع صوت محرك سيارته وهو يتوجه بعيداً نحو القرية.

لم تتوقع منه أن يذهب، أن يستسلم دون حراك، هزت رأسها لتعيد نفسها إلى الواقع، وتوجهت إلى الطابق العلوي ثانية.

إذاً، لم يعد يهتم لأمرها. ماذا إذاً؟ عليها أن تفرح... وما إلى هناك. فهي لم تكن متأكدة أبداً من أنها تستطيع أن تبقيه بعيداً عنها إذا قرر عكس ذلك.

لقد كان سبب مجيئه إليها، أو هكذا إدعى، أنه يريد التحدث إليها، دون أن يحدد بخصوص ماذا، لكنها تعتقد أنها تعرف الموضوع، إنه نفس الموضوع الذي يطرح الأسباب المنطقية التي تجعلها تقبل أن تكون حبيبته، غير أنه رحل دون أن ينطق بكلمة واحدة حول ذلك الموضوع.

غير أنه استطاع أن يحصل بعينيه على اكثر مما كانت تنوي إعطاءه إياه.

فجأة ارتعشت فين لإحساسها بالبرد. ثم توجهت نحو خزانة الأدراج وراحت تبحث فيها بالتدريج. لم يكن ذلك عمل تحب القيام به، لكنه كان أقل ما يمكن القيام به.

وتنكرت ما قالته لها والدتها: «لم نترك أبداً ثياباً نحن في حاجة إليها في الكوخ. لكنك إن رأيت ربطة عنق حريرية

زرقاء، أرسليها لي. فقد اعطيته إياها لتجلب له الحظ السعيد، عندما كان يسجل سلسلة من الأحاديث الإذاعية في لندن. وبعد أن انتهى من ذلك، جئنا لقضاء عطلة نهاية الأسبوع معك في الكوخ وقد كانت تلك المرة الأخيرة التي اجتمعنا فيها، أتذكرين؟ لا بد أنه تركها في الكوخ، لأنها غير موجودة بين أغراضه هنا.»

لقد جعلتها تشعر وكأن إيجاد ربطة العنق تلك هي أحد أهم الأشياء في العالم، فهي واحدة من بين الأغراض التي تنوي الاحتفاظ بها لتذكرها بالرجل الذي أحبته أكثر من أي شخص آخر.

كانت فين تعرف أنها لن تحب أبداً شخصاً لهذه الدرجة لأنها لن تخضع نفسها أبداً لهكذا نوع من تدمير الذات.

على أي حال، لم تجد فين ربطة العنق بعد، حتى الآن كل ما وجدته هو عبارة عن نثريات وملابس بالية قد يستخدمونها حين يأتون إلى الكوخ خلال زيارتهم الخاطفة التالية.

غير أنه لم يقم أي منهما بأي زيارة خاطفة أخرى. فقد كانت فين منشغلة بتنظيم حياتها، وكان والدها يقوم بإلقاء المحاضرات في أنحاء مختلفة من الولايات المتحدة الأميركية، ووالدتها برفقته طبعاً.

وقد زاد توضيبها للغرفة التي كان يشغلها والداها من إحساسها بالعزلة، الأمر الذي تصورت أنها اعتادت عليه منذ سنوات عديدة، عندما تأكدت وقبلت حقيقة أن والديها لم يكونا يريدانها أبداً.

لذلك فقد كان إدراكها أنها جائعة أمراً أفرحها، كما أنه

كان عذراً لتنهي عمل هذا اليوم، وتحمل صندوق القمامة إلى الطابق السفلي، لتتخلص منها لاحقاً وتقرر بينما كانت تستحم ما يمكن ان تتناوله على العشاء، أو أن تتناول طعام العشاء في الخارج وتشاهد غروب الشمس.

وما أن وصلت إلى منتصف الدرج نزولاً وهي تجر الصندوق البلاستيكي الثقيل وراءها، حتى رأت سول الذي بادرها: «دعيني اساعدك.»

أخذت فين تراقبه مندهشة بينما كان ينزل الدرج بعد أن أخذ منها الصندوق وحمله إلى الطابق السفلي. فقد غير بذلة العمل الرسمية التي كان يرتديها، وارتدى بنطالاً من الجينز الأبيض وبلوزة سوداء، الأمر الذي جعله يبدو أكثر جانبية. لقد كانت مصدومة بسبب عودته غير المتوقعة. وعندما سألها: «أين تريدينني أن أضعه؟» لم تجب، بل توجهت ببطء إلى الطابق السفلي، وهي تتكىء إلى الدرابزين لأنها كانت بالكاد تستطيع الحفاظ على توازنها.

فتحت باب الخزانة تحت الدرج بصمت، وراحت تراقب حركة عضلات ظهره عندما انحنى ليضع الصندوق في مكانه، ثم وقف ثانية وأغلق الباب.

وبسرعة تراجعت فين إلى الوراء، بعيداً عنه، وقلبها يخفق بسرعة عندما أدركت الحقيقة المرة أنها كانت سعيدة لوجوده هنا. حقاً سعيدة!

«ماذا تفعل هنا؟» لم تكن تريد أن تكون سعيدة لرؤيته، أن تشعر بذلك الشعور الجميل بالراحة لأنه، ليس كما قالت لنفسها، لم يعد يهتم لأمرها.

«لا بد وأنك عرفت أنني سأعود.» ثم راح يتأمل وجهها

فلاحظ أنها كانت تحاول جاهدة أن تبتلع تلك الكلمات التي كانت تتمنى أن تقولها، كذلك التوتر الذي سيطر على جسمها النحيل المنتصب بكل صلابة وقال بنعومة: «كان هناك كلام علينا قوله، أتتكرين؟ لكن وكما قلت، لسنا على عجلة من أمرنا. فلدينا كل الوقت الذي نريد.»

كل الوقت الذي نريد.

لقد قال ذلك بكل بساطة، وكأنهما شخصان يتعرفان إلى بعضهما البعض، لأنه إذا كانت علاقتهما ستتطور، فإنها ستحتاج إلى وضع أسس متينة، أكثر من حاجتها إلى علاقة عابرة.

نظرت إليه وقالت في نفسها ان الأمر ليس كذلك، بالطبع ليس كذلك. إذ أن كل ما يريده منها هو تمضية بعض الوقت إلى أن يسأم منها ويتركها، ثم ينتقل إلى امرأة أخرى. وعلى كل حال، فهو معروف بعلاقاته السريعة. وعندما سيبدأ الحديث، فإنه لن يطلب شيئاً سوى أن يحتل مكان أليكس مستعرضاً أسبابه المنطقية.

أو ما اعتقد أنه مكان أليكس.

لكنها لم تكن تريد أن يسير الأمر على هذا النحو. لم تكن تريد ان تضطر يوماً لسماعه وهو يستعرض تلك الأسباب. ولم تشعر بشيء سوى بالراحة عندما قال لها: «لِمَ لا تغتسلين بينما أحضر أنا طعام العشاء على المائدة؟ لقد أحضرت معي ما يمكننا تناوله، بامر من بريني.»

هزت فين كتفيها وتوجهت إلى الطابق العلوي، وشعرت بدوار نتيجة السعادة التي اعترتها. فقد توقعت منه ان يعاود محاولاته لإقناعها بالإنتقال والعيش معه. وهي لم تظن

يوماً أنه من ذلك النوع من الرجال الذين يهدرون وقتهم. فهو يقرر ما يريد ويتحرك مباشرة للحصول عليه. ولا يبدو ممن يحبون لعبة الانتظار.

لقد أقلقتها تصرفاته غير المتوقعة، لكنها قررت أنها لن تهدر طاقاتها في محاولة لايجاد سبب لذلك. بل ستكون ممتنة له لأنه أجل ما كان ينوي... وكما توقعت، القيام به ومنحها ذلك لترتاح من الضغط الذي كان يمارسه عليها في كل مرة كانا يلتقيان فيها، ويتظاهران، بأنهما شخصان ذكيان راشدان قادران على الاستمتاع برفقة بعضهما البعض. وسيكون لديها الوقت الكافي لاستجماع قوتها ثانية إن حاول أن يمارس ضغطه عليها ثانية.

جففت شعرها سريعاً، وارتدت بنطال جينز وكنزة صوفية ناعمة فضفاضة لكنها لم تتبرج.

لم يبد أن عدم تبرجها لم يؤثر عليه لأنها عندما نزلت إلى الطابق السفلي، نظر إليها نظرة ودودة وقال: «أتشعرين بأنك أحسن الآن؟ هل أنت جاهزة لتناول الطعام؟ لقد وضعته في الخارج. إنها ليلة جميلة.»

تبعته وكأنها لا تملك أي إرادة ذاتية. ولماذا تناقش؟ إن الأمسية جميلة بالفعل. وكانت الحقيبة تحتوي على أربعة أنواع مختلفة من الجبنة، ورغيفاً محمصاً من الخبز وزجاجة من عصير المانجا. أما سول فقد طبخ باقة من الهليون بالزبدة التي ابدت فين رأيها بها فقالت وهي تقطع لنفسها قطعة أخرى من الجبنة الطرية الشهية: «يا له من طعام شهي.»

لقد كانت تتذكر رحلتها القصيرة إلى البراري، أيضاً،

فتشعر بدفء يملأها، بينما كان سول يملأ لها كوباً ثانياً من العصير، قال بهدوء: «ربما تخبىء لنا الحياة مزيداً من المفاجآت، يا فين. أنا لم أتوقع أن اجدك تعيشين في هذه العزلة، تنظفين الخزائن وأنت متسخة من كثرة الغبار.» ثم تأمل النجوم التي بدأت تنتشر في السماء وتابع قائلاً: «ربما علينا إعادة النظر في ما ظنه كل منا في الآخر.»

ليس هناك «ربما»! لقد ظن أنها فتاة ثرية منحطة القيم والاخلاق، ولم يكن هناك خطأ أكبر من ذلك. لكنها قالت في نفسها انه لا يجب لومه لظنه ذلك. لقد بدأت تشعر الآن بعدم الارتياح، الأمر الذي تأسف له، لأنها حتى هذه اللحظة كانت تتمتع بهذه الأمسية وبرفقته، مندهشة لإحساسها بالراحة القصوى معه، الأمر الذي لم تشعر به معه أبداً من قبل.

لكن هل يمكن أن يكون ما تعرفه عنه غير صحيح، أيضاً؟

لا شعورياً، هزت رأسها. لا، صحيح بالتأكيد. إذ أنه نادراً ما شوهد برفقة امرأة واحدة مرتين، لقد كان أليكس أكيداً بهذا الشأن. و، الأسوأ من هذا، لقد تابع علاقاته هذه حتى خلال حياته الزوجية. ولم يتأثر عند وفاة زوجته، الأمر الذي يجعله رجلاً سيئاً أكثر من كونه قاسي القلب.

لذلك، قررت ان تكون مجرد مستمعة وألا تسترخي تماماً. فارتشفت ما تبقى في كوبها. وقالت في نفسها انه يحاول بكل بساطة استخدام طريقة أخرى للتأثير عليها، يحاول أن يجعلها تخضع له. لم تكن لتنسى ما يريده منها. وهذه المحاولة الرقيقة لن توصله إلى أية نتيجة. لكن قلبها خفق عندما سمعته يقول لها: «عندما كنا في البراري، قلت لي شيئاً جعلني أقف وأفكر ملياً... طبعاً بعد أن هدأت، لقد كنت

محقة. إذ أنني كنت أعاملك على أنك سلعة. أنت تستحقين معاملة أفضل من ذلك، فأنا أود الاعتذار.»

استغرق من فين بضع دقائق لتتذكر ما قالته له في ذلك اليوم. لقد طلبت منه أن يتصل بها عندما يصبح عنده قلب! وكلامها هذا جاء رداً مباشراً لقوله انه لا يستطيع أن يحبها لأنه لا يحترمها، وعرضه المهين، أن يدفع لها أكثر مما يدفعه لها أليكس فتتركه وتنتقل للعيش مع سول!

إذاً، ربما أعاد هو النظر ثانية، وقرر أن تلك الطريقة المباشرة الفظة لن تؤدي إلى أية نتيجة. هل اعتقد فعلاً أنها غير قادرة على منح نفسها ما تستحق؟ هل ظن أنها انسانة سخيفة؟

«اعتذار مقبول.» وابتسمت ابتسامة فارغة، وتساءلت لماذا شعرت انها خدعت. ثم انتصبت واقفة على رجليها وقالت: «اعتذار وعشاء شهي. ألست انسانة محظوظة! من يمكنه أن يطلب أكثر؟» ومشت نحو البوابة الصغيرة وفتحتها ثم قالت: «أعتقد أنه علينا أن نودع بعضنا الآن، ألا تعتقد ذلك؟ عمت مساءً، يا سيد آكرمان.»

ظنت فين للحظات قليلة أنه سيبقى تماماً حيث هو. لكنه تحرك أخيراً، وقام عن المقعد الخشبي متوجها نحوها، غير أن تعابير وجهه لم تكن واضحة بسبب الظلام.

وعندما اقترب منها تمنت لو انه بقي حيث هو، لتدخل عندئذ إلى الكوخ وتقفل الباب، وتغلق كل النوافذ، تاركة إياه حيث كان ليدرك ما يشعر به الانسان المهزوم.

وهذا ما كانت تعتقد أنه لا يمكن أن يحصل أبداً. فبعد علاقتها القصيرة والفاشلة مع راي، سخرت من كل قصص

الحب الرومانسية تلك، ذلك الحب الذي ينقل الحبيبين إلى عالم لا يوجد فيه غيرهما، حيث حاجة الواحد منهما للآخر كبيرة جداً، عالم مليء بالأمنيات، وفي الحقيقة، ما هي سوى كذبة لتأكيد استمرارية الحياة، هذا أفضل الإحتمالات، بينما اسوأها، هو استعبادهما لهؤلاء الضحايا مما يجعلهما يفقدان استقلاليتهما.

لقد اعتقدت أن ذلك كان كذبة لأنها احبت راي. ولم تكن هناك أية سعادة.

لكنها الآن، وهي مع سول، لم تعد واثقة إذا ما كان اعتقادها ذلك صحيحاً. ربما لم تحب راي أبداً. ربما، وبكل بساطة، لم تعد ترغب في أن تكون وحيدة بعد الآن.

لكنها لم تكن متأكدة من أي شيء، لا؟ كيف يمكن أن تكون كذلك، عندما استجابت، بقلبها وروحها، بهذه القوة لرجل وجه إليها هذا القدر من الإهانات؟

سألها سول: «هل ازعجك؟ أنا آسف. أنا أريدك.»

«لا! أرجوك إذهب! أنا لا أريدك هنا... أنا لا أريد!»

لقد كانت تلهث من الخوف. فهي لم تصدق أنها كانت تتصرف بهذه الطريقة، هي التي لطالما كانت متماسكة، واثقة من نفسها لحد كبير، وهادئة.

«أنت لا تعنين ذلك.»

قالت: «أنا لم أعن أبداً أكثر مما قلته. فقط اذهب من هنا.»

جفل سول في مكانه، وراحت فين تنظر إلى وجهه بعينين مدركتين، لكن الظلام كان يحول دون رؤية تعابير وجهه. غير أنها كانت تعرف أنه غاضب.

قال سول بهدوء تام: «لا زلت تتلاعبين. دعيني أحذرك، ان الاعيب كهذه قد تكون خطر.»

«هل تشجعين الرجل حتى يفقد عقله؟ فتظنين أنك حرة أن تتظاهري بأن ذلك ليس ذنبك، وأنك ضحية؟ هل كنت تتعاملين مع أليكس هكذا؟ أهكذا تجعلين من تخرجين برفقتهم يدفعون لك ما تريدين من المال؟ دعيني أحذرك ثانية... أنا لا اتصرف بهذه الطريقة. وأنا لا أجبر النساء اللواتي أخرج برفقتهن. ستأتين إليّ لأنك تريدين ذلك، لأنه ليس هناك من شيء يمنعك.»

«أنا اكرهك!» ثم استدارت والدموع تترقرق في عينيها، لكنه توجه نحو البوابة واجتازها، وقال بنبرة واثقة ويده على قبضة الباب:

«أنت لا تكرهينني. بل تكرهين الأمور التي أجعلك تواجهينها. وفقط تذكري أنني سأعود. ولا أريدك أن تري أليكس ثانية، أبداً. وأنت لن تفعلي إلا إذا كنت تريدين أن تدمري ما تبقى له من مستقبله المهني.»

الفصل الثامن

لم تكن فين تعرف حقاً ما الذي كانت تفعله، وهي تجلس إلى جانبه في السيارة تشاركه التوجه إلى مكان، لا أحد يعلم أين. إلى مكان محايد، قال سول، وكالحمقاء اقتنعت بذلك. إذاً، ها هي تسمح له بأن يملي عليها قراراته مرة أخرى.

فقد كان... ولا يزال، بالطبع... نهاراً جميلاً. لكنها استفاقت وهي تشعر وكأنها مخنوقة وغير قادرة على استئناف القيام بالأعمال التي جاءت بسببها إلى الكوخ. فأمضت حوالى الساعتين تتحرك ذهاباً وإياباً دون أن تقوم بأي عمل متسائلة ما خطبها.

فهي نادراً ما تشعر بالاكتئاب ولا تدري ماذا تفعل. فقد كان هناك دائماً ما تقوم به، حتى ولو كان هذا العمل مريحاً جداً ولا يتطلب أي جهد. إذاً لماذا تشعر وكأنها تبلغ من العمر ألف عام؟ إنه أمر لم تكن تستطيع فهمه.

لكن عندما وصل سول إلى الحديقة، وهو يبدو وكأنه يمتلك المكان وكل شيء فيه، حتى هي، لاحظت فجأة أن الشمس كانت مشرقة، والسماء صافية، وجانبا الطريق تكسوهما الأزهار البرية.

قال مبتسماً تلك الابتسامة التي بدأت تشعر بأنها لا تقاوم: «هدئة. سأصطحبك لتناول طعام الغداء. ليس إلى منزلي، أو منزلك، بل إلى مكان محايد، وهذا عدل.» جلس

على المقعد الخشبي وقد بدا عليه الارتياح التام وقال: «جهّزي نفسك للذهاب. ولا تستغرقي وقتاً طويلاً للقيام بذلك، فنحن لا نريد أن نضيّع من الوقت أكثر مما يجب.»

عدل؟ لقد بدا واثقاً جداً من نفسه ومنها. فهي لا تعرف أين هو العدل في هذه المسألة. لكن ذلك لم يبد مهماً كما كان من قبل.

وقد كان تساؤلاً سريعاً عن سبب اقتناعها الأحمق، واملاء قراراته عليها هو الأمر الوحيد الذي سمحت لنفسها بأن تفكر به بينما كانت تصعد الدرج برشاقة، ذلك الدرج الذي نزلته قبل ساعتين ببطء شديد. ما خطبها؟ فهي لم تنجز أي شيء مؤخراً، لا؟ فهي لم تقم سوى بالتجول في المكان، دون أن تقوم بأي عمل يمكن أن يُطلق عليه صفة مفيد، فقد كانت تشعر بالأيام طويلة وجافة.

من الواضح انها لم تكن مهيأة نفسياً لتوضيب الكوخ، لكن ربما ستقوم بذلك بطريقة أفضل بعد استراحة قصيرة.

وهي كذلك لم تتساءل عن الطريقة التي أهملت فيها أغراضها، فهي ترمي ثيابها على السرير، وتحوّل نظرها غير مبالية لما تراه.

اختارت فين بنطالاً متماوج الألوان ما بين الأحمر والأبيض وبلوزة بكمين طويلين، لها ألوان البنطال ذاته.

انتعلت حذاءها العالي الكعب، الذي راحت تتلوّى بسببه من جهة إلى أخرى بينما كانت تقف أمام المرآة مسرورة، غير أن ثيابها لم تكن مناسبة لجولة في القرية، لكنها لم تهتم لذلك، لأن نعومة القماش المصنوعة منها ثيابها وموديلها كانا يخفيان طولها وهذا ما كان يهمها. هذا

بالإضافة إلى أن ارتداء هذه الملابس كان يجعل قلبها يخفق وهذا أمر جيد لأنه كان يتعارض مع ما كانت تشعر به حتى الآن.

قال لها ذلك صوت ساخر في رأسها إلى أن وصل سول. لكن فين تجاهلت هذا الصوت، فقد كانت فقط مسرورة لأنها تشعر بأنها في حالة جيدة ولم تهتم كثيراً لمعرفة سبب ذلك.

كانا قد اجتازا الشاطىء حين كان الصمت يخيّم عليهما. ذلك لأن سول لم يتكلم كثيراً، هذا إلى جانب بعض التعليقات التي أبداها عندما مرا عبر سلسلة من القرى الهادئة. وقد كانت فين سعيدة بذلك، لأنهما كانا في كل مرة يتحدثان في أمر ما، فإن حديثهما ينتهي بمشاجرة، لكن ما ان انحرفت السيارة إلى طريق تتشابك فوقه أغصان الأشجار العالية الخضراء، حتى بدأ الفضول يداعب عقلها.

فهي تعرف فقط كيف يمكن أن يجعلها تشعر حين يلاطفها، لكن هذا كل شيء. إنها لا تعرف شيئاً عن هذا الشخص نفسه سوى ما سمح لها بأن تراه، القليل الذي أخبرها إياه خالها، وما عرفته هي من المقالات القليلة التي كان خالها يحتفظ بها والتي أعطتها إياها جين كي تقرأها عندما كانت تحاول اقناعها لتشترك معهما في تنفيذ الخطة التي أدت بها إلى ما هي عليه الآن.

هل هناك وجه آخر لهذا الصياد العديم الرحمة، القناع الذي يضعه هذا الرجل الذي انطلق ليحصل على ما يريد، هذا الرجل الذي كان صريحاً إلى حد الفظاظة عندما أعلن عن آرائه؟

هل هناك شخص لطيف، رقيق، يهتم لأمر الآخرين متخفياً بهذه الشخصية؟ هناك طريقة واحدة لاكتشاف ذلك، فسألته: «هل كنت حقاً تعني ما تقول حين أخبرتني بانك ستدمّر مستقبل أليكس المهني إن رأيته أنا ثانية؟»

دون أن تدرك أنها كانت تقوم بذلك، حبست فين أنفاسها وتمنت ألا يخيب أملها. لقد أرادت منه وبيأس شديد أن ينكر أنه سيكون يوماً ذلك الشخص القاسي القلب، مهما كانت الظروف.

«هل يهمك ذلك؟ الآن؟»

بدا ضجراً عندما نظرت إليه والعبوس ظاهر على وجهها. أبهذه الطريقة لن يخيب أملها؟ قالت في نفسها ان سول سيقول في عقله انه بما أن علاقتها القصيرة مع أليكس قد انتهت، فإنها لم تعد تهتم لأمره.

بالطبع. ماذا يمكن أن يكون غير ذلك؟

رمقته بنظرة حادة أخرى. وكانا لا يزالان يجتازان ذلك النفق الأخضر حين جعل الضوء الخافت وجه سول يبدو بملامح غريبة، بعيدة كل البعد عن ملامح ذلك الشخص الوسيم والجذاب الذي جاء إليها في صباح هذا اليوم وأعلن الهدنة.

تنهدت فين لذلك. لكنها كانت تشعر بأن هناك مشاجرة لا مفر منها تلوح في الأفق. فقالت له مقاطعة: «طبعاً يهمني. فرغم كل غلطاتي ـ وبالنسبة لك هي لا تعدّ ولا تحصى ـ أنا إنسانة وفيّة.»

تربعت على مقعدها وراحت تنظر إلى الأمام، تاركة له حريّة التعليق على ذلك بأية طريقة يشاء. لكنها لم تكن مهيّأة

لأن تسمع ذلك البرود في صوته حين علّق قائلاً: «عليكِ أن تهتمي لأمره، إذا كنت قلقة بشأن مستقبله.»

إذاً لماذا لم يكن غاضباً؟ أم انه يحاول أن يظهر لي أنه سيكون أفضل بكثير من أليكس؟ فهو أصغر سناً بكثير منه، قوي جداً، أغنى بكثير، وغير مرتبط!

لم تستطع فين معرفة الإجابة عن سؤالها، ولم تكن تنوي أن تسأل لأنها حقاً لا تريد الشجار مرة ثانية. لقد رافقته لأنه، ويا للغرابة، لم يبد لها خيار آخر، حتى ما هو أغرب، أنها أرادت أن تكون معه.

وصلا إلى أعلى التلة بعد ذلك واستطاعا رؤية أشعة الشمس من جديد. ليرجع كل شيء إلى ما كان عليه قبل أن تسأله عن مستقبل أليكس المهني. فلم يعد هناك ظلام، أو ألوان خافتة، بل استمتاع بالمكان، حين قال لها برفق: «من الحماقة محاولة تغيير ما لا يمكن تغييره. لماذا نفسد هذه الاستراحة الممتعة؟ قدرات أليكس وحدها ستقرر مستقبله المهني في محطة فيجن وست. لكن فيما يخصك، يا فينيللا فقد أصبح جزءاً من الماضي.» ثم رمقها بنظرة دافئة ولطيفة لدرجة أنها شعرت بأصابع قدميها تلتف في حذائها وبالخوف من أحاسيس تشعر بها للمرة الأولى تتسلل إلى أعماقها. وأضاف بهدوء: «انسيه، فقد عاد إلى زوجته، حيث يجب أن يكون. عليك أن تبدأي حياتك من جديد وتقرري ما هو الأفضل لك. وسأساعدك بكل سرور، إن كنتُ أستطيع ذلك.»

المساعدة؟ باقناعها أن تصبح رفيقته؟ يا لها من مساعدة كبيرة! إذ مهما بلغت بها درجة الحماقة، فإنها لن

تحتمل أبداً الانفصال الذي لا مفر منه. أحنت رأسها على إحدى كتفيها، وهي تشعر بالسأم من الطريقة التي كانت تسيطر فيها أفكارها عليها، وهي تقول لنفسها انها لن تتصرف أبداً بهذه الطريقة الانتحارية، وأنه لن يجعلها تقوم بأي عمل لا تريد القيام به، لذلك فإنها لا يجب أن تهدر مزيداً من الوقت في التفكير في ذلك.

لكنها عادت بوعيها إلى المكان عندما اجتازا قمة التلة وانحدرا ليعبرا جسراً حجرياً محدّباً فوق جدول ماء قليل العمق، وهناك عند أسفل المنحدر كانت تقوم حانة مبنية من الحجر المطلي باللون الأبيض، دون أن يحيط بها قرية، أو معبد، أو أي شيء آخر.

فراحت فين تتذكر ما قاله سول. لو كان يقصد فعلاً أن مستقبل خالها المهني متوقف على قدراته، إذاً ليس من مشكلة. فلدى خالها الكثير ليقدمه، الذي تأمل أن يقدره مسؤولوه في العمل إذ انها كانت تعرف أنه ليس هنالك من ضرورة لأن يُظهر أليكس نفسه للناس بهذه الطريقة الفاضحة.

كانت تدرك أيضاً أن الانسان اليائس يفقد رؤيته المتزنة للأمور. وهذا كان حال خالها الذي أصيب بخيبة أمل شديدة عندما عرف باحتمال الغاء برنامجه. وانقاذاً للموقف ربما عليها أن تتصل به وتطلب منه البقاء بعيداً عن كورنوول ـ والمقصود، عنها ـ إلى ان يُتخذ ذلك القرار. في الواقع سوا، لم يقل انه لن ينفذ تهديده...

«سنتناول طعام الغداء هنا. لقد حجزت طاولة.» ثم أوقف سيارته الكبيرة في موقف السيارات. قالت فين انه شديد

الثقة في نفسه، ولطالما كان كذلك وبما أنها لا تستطيع فعل شيء حيال ذلك، فإنها قررت ألا تناقش الموضوع. فقد كان نهاراً جميلاً وكانت تشعر بارتياح تام، بالرغم من الأفكار المقلقة التي كانت تساورها بشأن جدّيته في تنفيذ تهديده وعرضه المريب لمساعدتها.

لاحظت فين أنهما لم يكونا الزائرين الوحيدين، فقد كان هناك العديد من السيارات، الأمر الذي جعله على الأرجح يحجز طاولة مسبقاً. ورغم أنها حاولت ألا تجفل، الا انها فعلت ذلك عندما اصطحبها إلى الداخل. ثم طلب منها بهدوء: «يمكنك أن تخبريني كل شيء عنك بينما نحن نتناول طعام الغداء. فأنا لا أعرف شيئاً عنك، وليس لي النيّة أن أبقى كذلك.»

فقالت بارتياح: «ليس هنالك الكثير للكلام عنه.» وقد كانت فعلاً تشعر بالارتياح، لأنه إذا كان اخباره عن نفسها سيلغي استماعها إلى تلك الأسباب التي تجعلها تصبح رفيقته بما أن أليكس قد عاد إلى زوجته الآن ـ لأنه لا يزال بالطبع، يشغل عقله بقصتها المزيفة مع أليكس ـ فإنها لن تتوقف عن الكلام إلى أن يتعب فاها.

رغم أنه على الأرجح سيُقتل من الضجر قبل أن يحدث لها ذلك لأنه مقارنة بقوته، مركزه الاجتماعي، وثرائه ستبدو أعمالها سخيفة تماماً.

لكن لم تبد أية علامة من علامات الضجر في تلك العينين الحاذقتين اللتين كانتا تلمعان لرؤيتهما طعام غداء مميز ورائع يبين سبب ازدحام هذه الحانة المعزولة بالناس.

«إذاً، هذا هو سبب اكتسابك للغات بهذه السهولة.» ثم

وضع الحليب في فنجان القهوة وحرّكه وتابع: «هل كان يزعجك عدم استقرارك في مكان واحد؟»

فردت برفع إحدى كتفيها. لقد أخبرته عن حياتها أكثر مما أخبرت أي شخص آخر. وقد كانت تستغرب ذلك، لأن حديثها إليه لم يكن أمراً صعباً. ذلك لأن الكلام كان يصدر منها بطريقة عفوية وقد أراحها ذلك لأنها لم تكن مضطرة لمراقبة ما تقول. فهي لم تكن معتادة على الكذب والخداع، كل تلك الأفكار الخاطئة التي خيّمت على علاقتهما ـ إذا جاز تسميتها كذلك ـ منذ اللحظة الأولى التي التقت فيها عيونهما عندما كانا جالسين إلى طاولة العشاء في ذلك المطعم في لندن.

«لا، ليس كثيراً. ربما بعض الشيء، أحياناً. لكن سفري حول العالم أصبح نمط حياة اعتدت عليه، لدرجة أنه حتى حين كنا نمكث في مكان واحد ـ لنقل، لمدة شهرين أو ثلاثة كنت أبدأ أشعر بالملل، رغم حصولي على عدد كبير من الأصحاب الجدد في كل مدرسة كنتُ أدرس فيها. لقد كنتُ الشخص الأول الذي يشعر بالفرح عندما يقرر والدي الانتقال إلى مكان آخر. والأمر المثير للدهشة، أن والدتي لم تكن تحب السفر. لكن حياتها بدأت وانتهت مع والدي، وكانت ترافقه إلى كل مكان يذهب إليه. وما أن تتجاوز حزنها بفقدانه، أنا متأكدة تماماً أنها ستكون مرتاحة أكثر في الاستقرار في مكان واحد مناسب.»

«ألم تشأ أبداً أن تؤسس لك مكاناً تستقرين فيه؟» ثم سكت، وهزت فين رأسها مبتسمة لأن عدم اهتمام والديها لأمرها أمر لم يعد يؤلمها منذ زمن.

«لم تكن تريدني يوماً، هذا كل شيء. لم يكن أحد منهما يريدني. فقد كنتُ أعيق حياتهما.» ثم تابعت مدافعة: «لكن ذلك لا يعني أنهما فشلا في تأدية واجبهما، فقد قاما بتعليمي واطعامي وكسائي كما يجب.»

فأضاف بمكر: «لكنهما لم يحباك.» وعضّت فين على لسانها لأنها لم تستطع أن تخبره عن زيارات أليكس وجين بعد فترة من الوقت إلى ذلك الكوخ في كورنوول، حيث أمضيا عطلات الصيف الطويلة برفقتها. فلطالما اعتنى خالها وزوجته لأمرها، وأظهرا لها كيف تكون الحياة العائلية السعيدة.

لكنها لم تستطع إخبار سول بذلك. لأنه لم يحن وقت وقوفها بعد، لكنها استطاعت أن تقول له: «لا تشعر بالأسى لأجلي. لقد كنتُ سعيدة. وقد أمضيتُ أربع سنوات في مدرسة داخلية هنا في لندن. ومن ثم تابعت دراستي لأحصل على ما يؤهلني لأن أكون مترجمة مستقلة. ونادراً ما كنتُ أرى والديّ خلال تلك الفترة ـ كنا نلتقي في الكوخ لفترات قصيرة. إذاً هل رأيت؟» أخبرته ذلك وفي عينيها وميض استياء: «أنا قادرة على أن أكون إنسانة مستقلة تماماً وقادرة كذلك على كسب عيشي. أنا لا أحتاج إلى رجل كي يموّل حياتي.»

لقد كان ذلك أقصى ما تستطيع القيام به لتصحح أفكاره الخاطئة وتوقف إهاناته على أنها امرأة لعوب، لكنها تفاجأت حين رأت تلك النظرات في عينيه، وشعرت بذلك الاستياء في صوته حين طلب إلى النادل أن يُحضر له فاتورة الحساب، ويقول: «إذاً، علاقتك مع أليكس كانت

مبنية على ما هو أهم من قدرته على تمويل حياتك. أنا أتساءل إذا ما كان ذلك يفسّر محاولاتك البريئة لإبقائي بعيداً عنك؟»

أخذت فين تراقب سول وهو يقوم بدفع الحساب مستخدماً بطاقة الاعتماد خاصته. وسألت نفسها لماذا ذكرت سول بعلاقتها العاطفية المزعومة مع أليكس فيربورن؟

إذ أنهما تحدّثا خلال الساعات القليلة الماضية كما لم يفعلا من قبل، لتنشأ بينهما ألفة اعتقدت فين أنه لم يمكن التوصّل إليها قبل اليوم. وقد أفسدت فين ذلك بكلمات حمقاء تلفظت بها، لتُرجع التوتر الذي كان بينهما ثانية، وأدركت أنه سيكون عليها أن تتحمل نتيجة ذلك عندما غادرا المطعم بصمت تام، لتختفي السعادة من ذلك اليوم نهائياً.

وما أن وصلا إلى الكوخ، حتى انفجرت بالبكاء لشدة استيائها. وراحت تقول لنفسها ان ذلك هو ثمن ما قامت به. ان الأمور لا يمكن أن تكون مختلفة ونهاية حديثهما ستكون دائماً بهذه الطريقة ـ ما دامت تتصرف معه حسبما تعرف عنه وهو كما يعرف عنها، رغم أنها ليست كذلك ـ كل ذلك لن يجدي نفعاً.

«أنا آسف. لقد كنتُ أتصرّف كطفل فاسد. سامحيني.»

أوقف سول السيارة في المكان الضيق المخصّص قرب الكوخ الصغير. حدّقت به فين، وهي تقاوم إحساساً كان أقرب إلى الصدمة وتساءلت، سول اكرمان يعترف فعلياً أنه كان مخطئاً؟ يعتذر فعلياً؟

أطفأ سول محرك السيارة، واستدار في مقعده قائلاً بانزعاج: «أنا لا أريد أن أصدّق أنك تشعرين بأحاسيس حقيقية تجاه فيربورن. أيمكنك أن تدركي معنى ذلك؟ أنا أريد أن أكون الرجل الوحيد في حياتك، ورغبتي تزداد في ذلك مع كل يوم يمر.»

ترقرقت الدموع في عيني فين، وأحست في لحظة مجنونة أنها مغرمة به. ولم تستطع تحمّل ذلك! وأن الحنان الظاهر في عينيه لم يكن سوى من نسج مخيلتها. بالطبع الأمر كذلك. انه فقط من تأثير النظر إليه بعينين دامعتين.

لذلك أدارت وجهها إلى الجهة الأخرى باستياء وعندما قال: «انظري، هل لنا أن نضع أنفسنا في جو أبهج من هذا؟ دعينا نتمشى قرب الشاطىء.» ترجلت بسرعة من السيارة، مسرورة لسماعها ذلك، لأنه لو قال لها انه يريد أن يكون رفيقها مرة واحدة بعد، لكانت قالت آه، أجل أرجوك! عوضاً عن، آه، أغرب عن وجهي!

كان الطريق الضيق نحو الشاطىء شديد الانحدار، وقد كان صعباً عليها سلوك ذلك الطريق وهي تنتعل حذاءها العالي الكعب.

توقفا عند إحدى الصخور قرب الشاطىء. راحت تتذكر أن الصيادين كانوا يربطون مراكبهم إلى هذه الصخور المحاذية للشاطىء، ليرموا شباكهم في ذلك الممر الضيق حيث تجري مياه البحر فيصطادون ما يستطيعون بيعه ليعتاشوا. ثم ينقلون ما اصطادوه إلى القرية في عربات يجرّها الخيل. لكن عربات أخرى محملة بالبضائع سلكت هذا الطريق، بصمت في الليل...

قالت بحنين: «عندما كنتُ طفلة، كنت آتي إلى هنا أحياناً عندما يكون الجميع نائمين، محاولة أن أتخيّل ما كان يقوم به المهرّبون عندما كانوا يتسلّلون في الظلام.»

لقد كانت عيناها تومضان فرحاً بينما كانت تشاهد أشعة الشمس تتلألأ على مياه البحر، ولون الرمال الذهبي، حتى أن أشعة الشمس كانت تلطّف من هيبة المنحدرات الصخرية عندما تنعكس عليها. هذا بالإضافة إلى حركة الخيول المتثاقلة بسبب ثقل العربات التي تجرها، وملامح الرجال المريبة الذين كانوا يفرغون بصمت البضائع مثل براميل الشراب والتبغ، أثواب القماش الحريري...

سأل بصوت دافىء: «وهل نجحت في ذلك؟» ثم جلس على رمال الشاطىء الدافئة متكئاً بظهره إلى الصخرة التي كانت تجلس عليها، وخلع حذاءه. كانت عيناه شبه مغمضتين بسبب انعكاس أشعة الشمس على مياه البحر، وقلب فين ينبض أسرع من العادة لأن ضوء الشمس كان يظهر بوضوح تام ملامح وجهه الساحرة. فهي تدرك أنه بالإضافة إلى ذلك الهدوء، هناك أيضاً إحساس بالخطر الذي هو جزء من وجوده.

ففي كل مرة كانت تنظر إليه، كانت تشعر بالخطر أكثر وأكثر، وكلما كان يتعامل معها بود ورقة، كان يسوء الأمر بالنسبة إليها. لكنها كانت تنوي أن تُبقي ذلك أمام عينيها.

«كل ما نجحتُ في فعله هو أنني أخفتُ نفسي حتى الموت.» ورغم أنها كانت تنوي أن تبدو طبيعية، الا أنها لم تستطع وأظهرت اضطرابها.

«أستطيع أن أتخيّل ذلك. لقد كنتِ طفلة وحيدة. لا أحب أن أفكر بك على أنك وحيدة. أو خائفة.»

فاغمضت فين عينيها عندما شعرت فجأة بالارتياح وتساءلت هل هو حقاً يعني ذلك؟ هل يعني ذلك؟ أو انه يتظاهر بذلك فقط؟ وهل يهم ذلك؟

«لقد اعتقدت أننا سنتمشى.» ورسمت على وجهها ابتسامة، كانت تعرف أنها بلا معنى. لأنها كانت في داخلها على وشك البكاء.

لحق بها بخطوات سريعة وقال: «ليس هناك من داع للعجلة. فلدينا النهار والليل بطوله. يمكننا أن نبقى هنا ونراقب المهربين الذين كنتِ تحاولين مراقبتهم. لكنهم لن يخيفوك إذا كنتُ أنا معك. إذاً، هدّئي من روعك.» ظنّت فين أن لا شيء سيخيفها ـ ولا حتى جموع غفيرة من المهربين ـ إذا كان هو معها. لكن كيف لها أن تهدىء من روعها عندما يكون معها؟ فقد أصبحت تعرفه جيداً الآن انه عندما يكون في ذروة هدوئه يكون في ذروة خطورته.

لا بد وأنها فقدت صوابها لتكون معه في هذا المكان. فهي تعرفه وتعرف ما يريده منها. إذاً لماذا هي هنا؟ لماذا لم تقل له بعد عن علاقتها السابقة مع راي؟

كانت آثار أقدامهما واضحة في الرمال الرطبة قرب الماء حيث كانا يتمشيان، وحتى تُبعد عنها ذلك الإحساس القوي بالودّ، راحت تلتقط البحص عن الشاطىء وترمي به في البحر. كررت ذلك عدة مرات، إلى أن قال: «فين...» أمكنها رؤية عينيه الرماديتين رغم رموشه الكثيفة السوداء، فراحت تلهث بسرعة تساوي سرعة نبضات قلبها فابتسم لها

ابتسامة عذبة وكانهما يتشاركان سراً. وقال لها بصوت أجش: «توقفي عن الهرب مني. أنا أريدك في حياتي، أنت تعرفين ذلك. لكنك ربما لا تعرفين أنني لا أريد منك أن تسرعي في الاستجابة لي، أو انني أحاول أن أجعلك تقومين بما لا تريدين القيام به. سنمضي في علاقتنا بالطريقة التي تريحك ـ ولو كان ذلك يعني ببطء، فأنا لا أمانع.»

هذا هو الخطر الذي كانت تشعر به والذي كان يقلقها الأمر الذي منحها تلك القوة لتبعده عنها وتقول بانزعاج: «ستتعلم يوماً أنه لا يمكنك دائماً الحصول على ما تريد. أنت لم يسبق لك أن جرّبت الفشل، أم انك جرّبته؟»

أحست بهواء بارد يأتي من مكان غير محدد، ليغطي وجهها بشعرها. فابعدت شعرها عن عينيها ونظرت إليه. لقد بدا وكأنه مصدوم، وكأنه لم يسمع أحداً من قبل يقول له انه لا يستطيع الحصول على ما يريد بالضبط. لقد كان صعباً عليه أن يسمع ذلك، وحتى تكمل ما بدأت، تابعت قائلة: «لقد ولدت وأنت تعلم أن العالم ملكك ـ لقد أسس والدك شركة النشر الضخمة الناجحة التي ورثتها، ومن أرباحها استطعت أن تشتري شركة خطوط جوية فاشلة وتحوّلها إلى اسطورة، ومن أرباحها استطعت أن تحصل على معظم الحصص في وكالة اتصالات منافسة فتوفّر من المال ما يؤهلك للحصول على أعلى مركز في محطة فيجن وست!»

ثم ارتعشت فين ولفت ذراعيها حول جسمها. ولاحظت أن غيمة قد حجبت الشمس لكنها كانت تعرف أن ذلك ليس السبب الوحيد للبرد الذي شعرت به فجأة.

«لقد أتممت واجبك.»

«أنا لم أجمع عنك هذه المعلومات. لكن هناك مقالات كثيرة كُتبت عنك.» وعندما شعرت ببرودة مياه البحر لدى ارتطام الأمواج على الشاطىء الرملي، قررت الابتعاد عن الشاطىء.

قال لها: «هناك أنواع أخرى من الفشل. وفي ما يخص العلاقات الإنسانية، فأنا أكثر الناس فشلاً.»

فانحبست أنفاس فين وبقيت في مكانها دون حراك، دون أن تحاول الآن أن تذهب إلى أي مكان. فسماعها يعترف أنه فاشل في أمر من الأمور كان شيئاً جديداً تعرفه عنه خلال تجربتها معه.

سألته بلطف: «أتريد أن تتحدث عن ذلك؟»

قال بثقة: «هناك أمر واحد أريد مناقشته معك، يا فين، وهذا الأمر يتعلق بعلاقتنا المستقبلية. وسيكون هناك علاقة دون شك.»

أخذت تضحك في داخلها عندما هزت رأسها ببطء ودون وعي، لم تستطع أن تساعده، فقد كانت تائهة في ذلك العالم المليء بالأحاسيس التي لم تعتقد يوماً أنه موجود.

كانت تعرف أنها تستطيع أن تبتعد عنه الآن، أن تعود أدراجها، وأنه لن يحاول منعها. لكن كيف تستطيع ذلك؟ فهي لا تملك الإرادة لفعل ذلك.

كانت فين تعرف أنها تلعب بالنار، لكنها باستجابتها لتلك الرغبة الجامحة لم يعد لديها ما تخسره.

بدأ الاثنان بالابتعاد عن الشاطىء، ليبتعدا عن أمواج البحر السريعة المتلاطمة. وقد أدركت فين أن ليس هناك ما

يفرق بينهما الآن، وقبلت به لقد أصبحت مرتبطة به، ولم يعد هناك من مجال للتراجع. لقد فات الأوان.

ضربتهما موجة عالية من مياه البحر الباردة، فبللتهما وتركتهما يشهقان من الصدمة. وعندما استعاد سول أنفاسه، نظر إلى عينيها وضحك وقال: «أتعرفين ما يقولون عن بلو الماء الباردة؟»

الفصل التاسع

لم تهتم فين لثيابها الملونة المبتلة المرمية على أرض الحمام. فقد كلفتها أكثر مما تستطيع دفعه ومياه البحر أتلفتها. لكنها لم تستطع حتى إظهار أدنى علامة من علامات الاستياء لهذه الخسارة.

لقد أراد سول منها شيئاً واحداً فقط، تمضية بعض الوقت معها إلى أن يسأم منها ويتحوّل إلى امرأة أخرى. وقد كان صريحاً إلى حد الفظاظة حين أعلن عن ذلك، ولم يلفظ كلمة ارتباط واحدة. وهذا لم يعجبها ولا يمكن أن يعجبها.

لكن ذلك لم يهم، بالطبع لم يهم! فقد كان يكن لها احساساً مميزاً. فهي لن تسمح لنفسها بأن تُغرم بأحد لأنها تقدر استقلاليتها وحريتها لدرجة لا تسمح لها أن تضع نفسها إرادياً في فخ كهذا.

واكتشفت ان علاقتها مع راي غوردن لم تكن سوى غلطة. لكن ذلك لا يعني أن عليها القيام بعلاقة أخرى، مع رجل أعلن بصراحة أنه لا يمكن أن يحبها لأنه لا يحترمها.

وبعد أن ارتدت بنطالاً قديماً من الجينز وبلوزة صوفية ناعمة، هنّأت نفسها على سير كل الأمور على النحو الذي تريده.

لكن رؤيتها للنار تتراقص في المدفأة عندما فتحت الباب المؤدي إلى غرفة الجلوس جعلتها تبتسم وتصرخ مبتهجة: «آه... ما أجملها!»

حوّلت فين نظرها عنه بسرعة، لئلا تشعر بالضعف أمامه، وهي لا تعرف الطريقة المثلى لمقاومة وسامته لكنها حاولت، آه، لكم حاولت!

فقالت: «أتودّ أن أحضر لك شراباً ساخناً بما أنك لا تزال تنتظر قرب المدفأة كي تجف ثيابك؟» لكنها الآن كانت تستطيع أن تسمع خفقات قلبها القوية عندما أجابها بصوت ساحر.

«ليس الآن. لكنك تستطيعين إطعامي لاحقاً.»

متى سيأتي لاحقاً؟ كم ساعة ينوي البقاء؟ فشعرت بالقلق ينتابها، رغم أنها لم تكن ترغب في الاحساس به. كيف يمكن لها أن تطلب منه الذهاب... دون أن يكون هناك أي سبب قوي لذلك؟ كيف يمكن لها أن تقول له انها غير مهتمة بخططه بشأن علاقتهما المستقبلية القصيرة.

«من الصعب الرحيل بعد الجلوس هنا قرب المدفأة.»

مرّ من قربها وخرج من الغرفة. ولم تنظر إليه. لم تستطع. وبعد أن التقطت أنفاسها، توجهت فين نحو النافذة وراحت تنظر إلى الخارج. كانت السماء زرقاء وأشعة الشمس تحجبها أحياناً غيوم رمادية كثيفة، والرياح تأتي بالمطر من جهة البحر. لقد كان سول محقاً لأن هذه الغرفة الصغيرة الدافئة بسبب النار التي أضرمها في المدفأة لا تجعل أحداً يرغب في الابتعاد عنها.

فقالت في نفسها ان الإصرار على الرحيل سيكون أمراً مبالغاً فيه بينما كانت تراقب هطول المطر الغزير. سيكون من الحماقة أن تولي أهمية كبرى لعرضه أن تكون رفيقته. الأفضل... إذا كان الموضوع سيناقش ثانية... أن تعلن

بلطف لكن بحزم شديد أنها لا تنوي أن تكون رفيقته، الآن أو أبداً. وأنه يمكنها أن تبتسم وهي تقول له ذلك، محاولة أن تظهر كتلك الفتاة الراشدة الهادئة الرزينة التي لطالما ظنّت نفسها كذلك. ثم طلبت من عقلها التوقف عن التفكير في ذلك، محاولة التصرف بشكل طبيعي عندما سمعت سول يعود إلى الغرفة.

دخل بعد قليل، ثم جلس على أحد المقاعد المريحة، ومدّ رجليه الطويلتين باتجاه المدفأة وتابع قائلاً: «هل تمانعين في بيع هذا البيت؟ ألم تخبريني أنه المكان الوحيد الذي شعرت فيه بالاستقرار؟ وماذا ستفعلين بالأثاث... هل ستتخلصين منه أيضاً؟»

«لا.» فين لم تكن تعرف ما إذا كان عليها ان تقول له أن يهتم بشؤونه فقط أولاً. فقررت ألا تفعل، وجلست على حافة مقعد مشابه تماماً للذي كان يجلس عليه. واعتقدت أنه لا ضير في أن تبقى لطيفة معه فقالت: «سأبيع الأثاث مع الكوخ، فإذا أراد المشتري أن يحتفظ به أو يرميه، فهذا أمر منوط به. فوالدتي ليست في حاجة إليه...»

«لا أظنها ستحتاجه... وهي تعيش في أوستراليا. لكن أنت؟» وظل هذا السؤال الملحّ ينتظر جواباً. فهي لا تعرف لماذا سألها هكذا سؤال... يتعلق بموضوع عمل وقديم ويتعلق كذلك بأثاث بال.

لكنها ستجيب لأنها ستفعل ما في وسعها لأن تتفادى مشاجرة أخرى، لأن ابقاء جوّ من التوتر مخيماً عليهما لن يكون أمراً لطيفاً. وبعكس كل توقعاتها لم يكن يمارس ضغطه عليها الآن.

قالت متمنية أن يبدو ما ستقوله معقولاً: «أنا لم أحتج أبداً لمثل هذه الممتلكات لأن كل ما احتاجه ثياب تملأ حقيبتين. وما عدا ذلك يعيق تحركي.»

«ويربطك بمكان واحد؟» وراح يراقبها، وهو مسترخ على مقعده رافعاً ذراعيه خلف رأسه.

فردت حاسمة بهدوء: «بالضبط.» شعرت بالارتباك وتورد خداها عندما علّق بمكر قائلاً: «إن الطريقة التي ترعرعت بها حولتك إلى جوالة. هل افتقادك للحب الأبوي أدى بك إلى حاجتك للاستقلال العاطفي، أيضاً؟ ألهذا السبب لك علاقات متعددة... دون أي ارتباط عاطفي؟»

ذُهلت لسماع سؤاله هذا وتساءلت في نفسها: كيف يجرؤ على أن يصفها بذلك؟ من يظن نفسه يكون؟ فقررت أن تنكر كل ذلك، هذا بالإضافة إلى هجوم مضاد لاذع، لأن إهاناته لم تعد تحتمل. لكنها تذكرت أنه بعد كل ما قامت به وكل ما نُشر هو سبب كاف لجعله يصدّق أنها كذلك.

فهي لا تستطيع أن تُطلعه على الحقيقة حالياً، إلى أن يتخذ ذلك القرار المتعلق بمستقبل خالها. وحتى عندما تخبره... إذا فعلت ذلك... هل سيصدقها؟

لم يكن في استطاعتها التكهن بردة فعله، ولم تستطع كذلك أن تبقى جالسة هكذا، وعيناه الساحرتان تتأملانها. فقالت بنبرة جافة: «أردت مني أن أطعمك. بالإذن منك...» وقامت عن مقعدها وتوجهت إلى المطبخ، وهي تسأل نفسها ما تظن أنها فاعلة، تقدم له الطعام بينما كان كل ما تريده منه هو أن يرحل ويتركها بسلام، أن يفسح لها المجال الذي تحتاجه كي تتجاوز ذلك الانجذاب العارم.

إنها ردة فعل خفيفة، لأنها كانت يائسة لعدم قدرتها على الهروب منه ومن أسئلته المهينة المحرجة. اختلقت حجة تحضير الطعام دون أن تفكر في أبعاد ذلك.

غير أن انسحابها لم يجد نفعاً لأنه كان يقف خلفها، وعلق قائلاً: «موضوع لا تريدين مناقشته، أفهم ذلك. لا تقلقي، سأعرف دوافعك في وقت لاحق. ماذا سناكل؟»

تساءلت إذا كانت سمعت كلماته، وطلبت من نفسها التعليق على ذلك إن كانت تستطيع! فاقترابه منها في المطبخ الصغير والمأزق الذي هي واقعة فيه ـ المأزق الذي دبّرته مع خالها ـ جعلها تريد أن تفرغ هذا الغضب الذي تشعر به بأن تثور. تثور عليه، لكنها سيطرت على تلك الرغبة الخطرة وقالت بفظاظة: «العجّة. ويمكنك البقاء في المطبخ فقط ان كنت ستساعدني.» ثم فتحت الثلاجة وأخرجت علبة من الفطر وقالت: «يمكنك أن تقشره وتقطعه.»

«سمعاً وطاعة يا قطتي الصغيرة. ربما ستتغير الأمور لاحقاً. في الحقيقة أنا أؤكد أنها ستتغير. لكن حتى الآن على الأقل أنت سيدة الموقف.»

كانت عيناه تضحكان مما جعلها تشعر بصعوبة التقاط أنفاسها وتمنت لو انها قررت أن تعطيه كوباً من الشراب وتطلب منه أن يرجع إلى غرفة الجلوس ويجلس قرب النار، بعيداً عنها.

ماذا قصد بقوله أن الأمور ستتغير لاحقاً؟ لكنها لم تعط نفسها مجالاً للتفكير لأنها تعرف الإجابة سلفاً، لكنها لم تكن تعرف كيف ستكون قادرة على مقاومة الاثنين، سول واستجابتها له. غير أنها توصلت إلى حل تقريباً.

فقالت في نفسها باشمئزاز بينما كانت تضع صحون الطعام في الفرن أنها ستبدي انزعاجها، وسيعرف سول ذلك. فهي تحسّ أحياناً بأنه يعرف بالضبط ما تفكر به، وكيف تشعر، وكأن بينهما رابط ما. هذا هراء.

تابعت عملها دون أن تنظر إليه لأنها لا تستطيع أن تحتمل رؤية نظراته المتأملة لها. وقد كان ذلك الاضطراب الذي تشعر به سبب تلك الضجة التي كانت تسببها، وقد كان سول فعلياً من قام بتهدئة ذلك الاضطراب في داخلها، فقام بوضع طعام العشاء على اثنتين من الصواني بالإضافة إلى الشراب الذي أصرّ أليكس على إحضاره إلى هنا لأجلها، واصطحبها إلى غرفة الجلوس حيث جلسا قرب الموقد.

كان سول هو من قام بنقل الصحون إلى المطبخ بعد ان انتهيا من تناول الطعام، وصبّ لها مزيداً من عصير الأناناس، ووضع مزيداً من الحطب في المدفأة، وأغلق الستائر منعاً لرؤية الشتاء والظلام.

استغربت فينيللا كثيراً شعورها بالأمان معه لهذه الدرجة، إذ انه لم يكن هناك أحد سواهما بالإضافة إلى أحاديث حول مواضيع مختلفة وممتعة دون أي تكلّف. وقد استطاع أن يجعلها تشعر بارتياح تام، لدرجة أنها لم تنفعل حين سألها بهدوء: «ماذا ستفعلين وأين ستذهبين بعد أن تنتهي من أليكس؟»

هزت كتفيها، وعيناها تشعان ببريق بسبب ضوء النار، وقالت: «سأبحث عن طريقة أخرى أعتاش منها، وعندما أجدها سأذهب إلى حيث هي.»

لم تكن تريد أن تزعج نفسها باخباره أن وظيفتها التالية

لن تبدأ قبل نهاية شهر حزيران (يونيو)، في ايطاليا، أو نظراً لاسرافها سيكون عليها أن تجد عملاً إضافياً لتسدّ ذلك العجز. ولم تكن مهيّأة نهائياً لأن تسمعه يقول بتردد وكأنه أجبر على ذلك بالقوة حين اعترف قائلاً: «أنا أهتم لأمرك. لا تسأليني عن السبب، يا فين، لكنني أهتم.»

عندئذ ذهب كل ذلك الارتياح الذي بعثه فيها مهبّ الريح، وقلبها كان يخفق بقوة حين قال: «لماذا تتجولين حول العالم كالغجرية بينما أستطيع أن أقدم لك مكاناً تسكنين فيه؟ فأنت تعرفين ذلك.» قد لا يكون هذا هو العرض الأكثر رومانسية الذي حصلت عليه أبداً ـ فأنا لا أحبّ تلوين الكلام وزخرفته ليبدو أكثر استساغة ـ لكنني أحتاج إلى وجود شخص دائم في حياتي. أنا أحتاج إليكِ. وأعتقد أنك تحتاجين إليّ.»

هل كان يمكنه أن يسمع نبضات قلبها بعد صمتهما المفاجىء؟ ما قاله جعلها تشعر بأنها تريد أن تبكي. وراحت تشد قبضتها على كوب الشراب التي تحمله بعصبية إلى أن أخذه سول منها ووضعه على المدفأة. وقد كان سول يتحرك بطريقة تدل على أنه متوتر هو أيضاً.

فأغمضت فين عينيها حيث شعرت بوخز في داخلها. تحتاج إليه؟ كيف يمكن لها أن تحتاج إليه؟

إذا وافقت على ما اقترحه، فانها ستكون بذلك قد بدأت تنتقم من ذاتها. إذاً، لقد حان الوقت الآن لأن تستعيد ذاتها، توضح كل الأمور أخيراً، وتخبره بأنها لن توافق ومهما كانت الظروف على أن تساكنه. ونظرت إليه بعد ذلك محاولة أن تظهر نبرة مشاكسة في صوتها حتى قالت

ساخرة: «لماذا أحتاج إليك؟ ما الذي يمكنك أن تقدمه لي ولا يستطيع شخص آخر ان يقدمه لي وفي مكان آخر؟» ثم راحت تراقب وجهه الذي ظهرت عليه علامات الغضب الشديد.

لكنه استطاع السيطرة على ذلك، عليها أن تعترف له بذلك، لأن نبرة صوته كانت طبيعية جداً حين اقترب منها وقال: «قلت لك انني أريد مساعدتك، وأنا عنيتُ ما قلت. أنتِ تحتاجين إلى شخص يمد لك يد العون، وأنا أستطيع فعل ذلك. أنا أفهم لماذا أنتِ على ما أنت عليه. لا بد وأنك أحببت والديك عندما كنتِ طفلة، وشعرت بقلق وألم عندما اكتشفت أنهما لا يريدانك.»

راح يتأمل تلك النظرة الحالمة بعينين حاذقتين، وقال: «لقد علمك والداك دون أن يعرفا، أنهما فعلا ذلك، أن تنسحبي من أي ارتباط عاطفي. أنا أستطيع أن أعلّمك كيف تخضعين لذلك الارتباط، وأن خضوعك لا يعني خسارتك لأي شيء، وأن هذا الارتباط فقط يساعدك على أن تكوني إنسانة.»

عضّت فين على شفتها وقالت: «لقد قلت أنك تريدني في حياتك، إذاً، ما هي الفترة الزمنية التي سيدوم فيها ذلك؟» ودون أن تشعر أنها قالت ذلك، حبست أنفاسها ثم لفظتها بألم عندما قال لها ما كانت تعرف الآن أنها لا تريد سماعه.

«لا شيء يدوم. لقد تعلمت ذلك بقسوة. لكنني أعتقد أنني عنيت طوال الفترة التي نريد فيها نحن الاثنان أن نبقى معاً. فنحن نصلح لبعضنا، وقد يفيد كل منا الآخر، لأن ذلك قد يساعدك على أن تعرفي قيمة الاستقرار. لقد سبق ورأيت منزلي. انه بيت سعيد، يا فين وستكونين سعيدة هناك.»

هناك معه، آه ستكون سعيدة، إذا تغيّرت الأمور. إذا أحبها، إذا أرادها دائماً...

فهي ما ان دخلت منزله حتى أحست باحساس غريب، ان المكان كان يرحّب بها، وأنها هناك ولا في أي مكان، يمكنها أن تستقر. لكن سيكون هناك عذاب أيضاً وخوف ليحجبا أية سعادة قد تكون، لأنه عاجلاً أم آجلاً سيسأم منها ويطلب منها الرحيل، لذلك فهي لن تضع نفسها أبداً في مثل هذا الموقف.

«أنت تريد أن أحلّ مكان كل تلك النساء العابرات.» وراحت تحاول مقاومة رغبتها في الموافقة على أي شيء يقوله، كل شيء يقوله. ثم تابعت: «هل بدأت تشعر بتقدمك في السن، يا سول؟ هل تشعر بأن ملاحقة النساء أصبحت غير لائقة بك؟» ثم حاولت أن تبتعد إذ أن وضع أي مسافة بينهما سيجعل الموقف أفضل... أفضل بكثير، إن ذلك لضروري جداً...

«أنا لا أقوم بعلاقات عابرة، إذا كان هذا ما عنيته، فأنا لم أقم بذلك أبداً. سانشيا هي الخبيرة في ذلك المجال.»

عندما أحست بذلك الأسى في صوته، خفّف إحساسها بالفضول التوتر الذي كان يغمرها حين سألته: «من هي سانشيا؟»

بدا وكأن كل التوتر الذي كانت تشعر به قد انتقل إليه، فأجاب باختصار وبصوت أجش: «زوجتي، في الماضي. لقد توفيت.»

إنها تلك الزوجة التي وبكل تأكيد، لم يؤثر موتها عليه أبداً. لقد أخبرها أليكس قليلاً عن حياته الزوجية القصيرة

المضطربة... انه لطالما كان هناك امرأة أخرى في حياته، فافترضت فين أوتوماتيكياً أن سول وعلاقاته النسائية المتعددة هي المسؤولة عن انهيار ذلك الزواج.

هل هي مخطئة؟

يبدو أن كل ذلك التوتر والاستياء قد أظهر أنها حاولت واستطاعت أن تعرف المزيد عنه. وقالت بسرعة وبعطف فطري: «هل تريد أن تخبرني عن ذلك؟»

تحوّل وجهه الوسيم إلى وجه متجهم حين استدار ليواجهها ثانية، والعبوس ظاهر على جبهته. ثم هز رأسه، وكأنه توصل إلى قرار واقترب منها ثانية، وزال العبوس عن جبهته حين قال: «أتعلمين يا فين، أعتقد أنني أريد ذلك. أنا لم أتكلم عن حياتي الزوجية مع أحد، أبداً. لكن لديّ الاحساس أنه يمكنني كسر هذه القاعدة من أجلك.»

جلس على المقعد وجلست هي مواجهة له، وكان كفا يديها مبللتين عرقاً، ونبضها سريعاً. وتساءلت في نفسها هل كان يفعل ذلك لأنها مميزة بطريقة ما بالنسبة له، وجديرة بثقته؟ أو كان ذلك واحدة من حيله؟

كانت فين تحدق بالنار، في ألسنة اللهب الصفراء التي كانت تتراقص حول قطع الحطب، وتفكر أنها لم يكن عليها أن تحاول كسب ثقته ـ لأن ذلك سيزيد من إحساسها العارم بالودّ، الود الذي كان يزداد بقوة في كل مرة كانا يتقابلان فيها.

لم يكن عليها أن تطلب منه الكلام عن حياته الزوجية. بل كان عليها أن تخبره أن الوقت أصبح متأخراً وأن عليه أن يرحل. هل ستتعلم يوماً استدراك الأمور فيما يخص سول؟

فأجابت عن سؤالها: لا. وسمعت صوته الأجش يقول: «لم أعتبر الزواج أبداً أنه خيار قابل للاستمرارية قبل أن ألتقي سانشيا. لقد كنتُ متعدد العلاقات، وكنتُ فخوراً بذلك، ولم أستطع أن أتخيل اليوم الذي يمكن فيه لامرأة أن تشغل تفكيري، ولو قليلاً عن حياتي العملية. ولطالما عرفت كوني متزوجاً، فإن هذا يعني أنه ستمرّ ظروف حيث ستكون زوجتي في المرتبة الأولى في حياتي. لذلك تعددت علاقاتي النسائية، دون أية علاقة جدية أو قلوب مسحوقة.»

«لكن ذلك تغيّر عندما التقيت زوجتك.» وكرهت فين شعورها أنها تآنت لسماعها ذلك. وتساءلت في نفسها لماذا يجب أن يكون اعترافه أنه أحبّ امرأة بهذا العمق لدرجة أنه جعل حياته العملية في المرتبة الثانية أمراً يطعن قلبها في الصميم؟ كل ما كان يجب أن تشعر به هو المفاجأة لمعرفتها أن رجلاً قاسي القلب مثله كان قادراً على الحب.

«لا، الأمر ليس كذلك. لأنه لم يكن حباً من النظرة الأولى. الأمر يختلف تماماً.»

واستأنف حديثه قائلاً: «لقد التقيتها خلال حفلة. هي أصلاً من افريقيا الجنوبية، لكنها جاءت إلى لندن لتستقر مع عمتها وأولادها. وبالكاد لاحظتُ وجودها. ثم بدأنا نتعرف إلى بعضنا، وبدأت أهتم بها أكثر. لم تكن جميلة... حتى أنها بالكاد كانت مليحة. فقد كانت قصيرة جداً، بدينة، وشعرها أشقر اشعث. لم تكن كأي من النساء اللواتي خرجتُ برفقتهن إلى ذلك الوقت. لم تكن تلفت النظر أبداً لكنها جعلتني أفكر بطعام الغداء المطهو في البيت أيام الآحاد، الحدائق، فطيرة التفاح، والأطفال في الحضانة.

وخطر لي فجأة ما كنتُ أفتقده. لقد كنتُ أكدّس ثروة لكنني لم أكن أستعملها. فجأة قررت أن اشتري بيتاً وأحوّله إلى منزل، وأولاد يرثون ما قمتُ بتكديسه. فبدا لي الزواج هو الحل. وقد قمتُ بمراسم الزواج لأنني، بالرغم مما تظنين، لديّ شيء من الاستقامة.»

فقالت في نفسها وإحساس أشبه بالفرح يغمرها، انه لم يقل انه أحبّ زوجته. ثم أبعدت هذا الاحساس لأنها تعرف أنه لا يجب أن تهتم لذلك. وسألت بنبرة تمنت لو تظهر عطوفة: «إذاً ما الذي حصل.»

«ماذا يحصل عندما تحلمين؟ فأنت تستيقظين مع الوقت.» ثم تابع بعد أن عاد الألم إلى صوته، بالإضافة إلى سخرية من الذات، أيضاً، والتي أظهرت إلى أي حدّ آلمه ذلك: «لقد تزوجت من الوهم وحاولت أن أعيش مع الواقع. لأنه لم يكن لزوجتي أي اهتمام لحياتنا الزوجية ولم تكن تشاركني أي من الرغبات التي كنتُ أريد تحقيقها في هذا الزواج. فقد كانت مريضة ومرضها كان الضعف أمام أي رجل في أي وقت، وفي أي مكان. حاولت مساعدتها في الحصول على العلاج اللازم، حاولت إنجاح هذا الزواج. ورغم أنها كانت دائماً نادمة عندما اكتشفت علاقتها، إلا انه لا يمضي وقت قصير حتى تكون قد اندمجت في علاقة مع رجل آخر. لم تكن تعرف معنى الحب. لم أكن أنا كافياً لها أبداً واكتشفتُ لاحقاً، بعد وفاتها في حادث سيارة أن والديها قد أرسلاها إلى لندن لأن الفضائح التي كانت قد تسببت بها هناك كانت تتزايد لدرجة لم يعودا يستطيعان تحملها.»

«أنا آسفة.» ولم تستطع فين أن تفكر بقول أي شيء آخر.

«ليس هناك من داعٍ للأسف.» ثم أخفض رأسه إلى الأمام، وتابع قائلاً: «لقد عايشتُ ذلك الوضع واعتدت عليه. احتفظتُ به سراً لنفسي، بقدر ما استطعت... لكنني مسرور لأنني أخبرتك. لقد كنتُ متزوجاً وكان زواجاً فاشلاً تماماً. أردتك ان تعرفي ذلك. الآن...» ثم توقف عن الكلام لكن صمته هذا كان مليئاً بالمعاني، وحاولت فين أن تجد سبيلاً لتتخلص من الموقف لتجد هذا السبيل يختفي.

شعرت أن قلبها يخفق بسرعة لأنها عرفت الآن سبب حديثه عن فشله فيما يخص العلاقات الانسانية.

كان يتكلم عن حياته الزوجية، ويلوم نفسه لانهيار هذا الزواج رغم أن الذنب لم يكن ذنبه. تماماً كما توصلت هي إلى تلك الاستنتاجات الخاطئة وقررت أن كل ذلك كان بسببه.

«هل لنا أن نتوقف عن الكلام في هذا الموضوع.»

وجدت فين قوة إرادة تدفع بها إلى الانتصاب واقفة على قدميها مسرعة وتقول: «هذه أحسن فكرة سمعتها منذ وقت طويل! والفكرة الثانية الحسنة هي تحضير القهوة. إبقَ حيث أنت تماماً. أنا سأحضرها.» ثم توجهت نحو المطبخ.

وقالت في نفسها ان ما تشعر به صحيح. آه، صحيح! لقد كان يتسلل إلى قلبها.

تساءلت وهي تحاول بيدٍ مرتعشة أن تملأ الابريق كيف سمحت لذلك أن يحصل؟ فالبرغم من قرارها الحاسم الا تقع في الحب، حتى تحافظ على حريتها واستقلاليتها، إلا انه أوقع بها. لقد أغرمت بسول اكرمان ولن تكون كما كانت عليه من قبل. ولم تحتمل التفكير بالموضوع!

الفصل العاشر

قالت فين في نفسها مؤكدة بينما كانت تحضر القهوة، انها ستتجاوز ذلك، بالتأكيد ستفعل. بل سيكون عليها ذلك، إذ كان نمط الحياة الذي اختارته معقولاً ومحتملاً.

كل ما عليها فعله هو أن تتجاهل قلبها، ولا تسمح له حتى أن يحصل على أي تلميح يظهر له حقيقة ما تشعر به. لأنه إذا عرف أنها تحبه، فإنه سيمارس عليها سحره وجاذبيته، وهي تدرك أنها لن تتمكن أبداً من مقاومته.

حملت فين الصينية بيدين مرتعشتين وتنفست عميقاً، وهي تقول في نفسها انه عليها أن تبدو طبيعية ومشرقة، حتى تثبت له أنها لاتزال كما هي، وفخورة بذلك. لكن عليها ألا تكون مثيرة للشفقة، بالطبع، لأنه عندما منحها ثقته، بإخباره إياه عن حقيقة قصة زواجه البائسة، القصة التي لم يخبرها لأحد غيرها، فإنه منحها قدراً كبيراً من الاحترام.

لكنها ستذكره بكل علاقاته الأخرى، وبوفاة زوجته، وبفعلها ذلك، تذكر نفسها، تثبت تلك الحقائق في عقلها التي يبدو انها غابت مؤقتاً عن رأسها.

وبالطبع ستحافظ على مسافة معينة بينهما، حتى ولو كان ذلك يعني أن تشرب القهوة وهي في طريقها إلى غرفة الجلوس ثانية وستكون هناك مشكلة فعلية إذا اقترب منها.

توجهت فينيللا إلى غرفة الجلوس وهي تحمل الصينية، محاولة أن تتقبل بيأس حقيقة أنه سيكون عليها ألا تختبر

ثانية ذلك الاحساس الذي تسببه نظراته لها، وأنه عليها أن تطلب منه الرحيل وتخبره بأنها لا تريد أن تراه ثانية.

اعطته فنجان القهوة وأضافت إليه الحليب ثم أخذت فنجانها وتوجهت إلى الجهة الأخرى من الغرفة وجلست على كرسي موضوع قرب الطاولة تحت النافذة.

«لا تحاولي أن تخفي ما تشعرين به، يا فين. هذا لا يناسبك.»

كان ينظر إليها بطريقة بدت وكأنها استلطاف وحنان. مهما يكن... لقد أربكها. نظرت بسرعة إلى فنجان القهوة الذي تمسكه بيدها، وأحست بصوته الدافىء يسيطر عليها، فشعرت برغبة عذبة تتغلغل إلى اعماقها، يمكن لصوته فقط أن يخدعها، وتقريباً فعل ذلك عندما سمعته يطلب إليها بهدوء: «تعالي إلى هنا. تعالي قربي.»

لقد كانت رغبتها في فعل ذلك قوية، ويجب مقاومتها. فهي تعرف تماماً ما سيحصل إذا اقتربت منه. كان يرغب فيها وهي تحبه والمسألة أصبحت خطرة للغاية.

وضعت فنجانها على الطاولة لأن ارتعاش يديها بدا واضحاً، ونظرت إلى نقطة قريبة من رأسه وقالت بصوت جاف ليس فيه دفء الأمر الذي كان لصالحها: «أنا لن أكون رفيقتك. إذاً اسدِ لكلينا خدمة ولا تأتي على ذكر ذلك ثانية.»

«ألا تريدين؟»

لكنه لم يبد منزعجاً لما قالته، وبدا الشك في عينيها عندما نظرت إليه. فظهر على فمه ما يشبه الابتسامة وكانت على وشك أن تغرق في تلك النظرة في عينيه.

«لا!» ثم هزت رأسها واستجمعت نفسها، لأنها بدأت

تصبح عنيفة ولم تكن تريد أن يحصل ذلك الآن. إذ عليها أن تظل هادئة ومسيطرة تماماً على الموقف. لأنها إذا فقدت أعصابها، فإنها ستفقد السيطرة على زمام الأمور، وتابعت قائلة: «أنا أعرف ما تظنه في أخلاقي، لكنني لست كذلك، صدقني. وأنا متأكدة أنك لا تهتم للنساء اللواتي تعرفهن في حياتك لفترة أطول من صحيفة أمس. أعني...» ثم توقفت فجأة وفكرت انه ربما اعتقد أنها لم تصدق كلمة مما قاله عن أسباب انهيار زواجه، وتابعت: «النساء اللواتي عرفتهن منذ وفاة زوجتك.»

«آه.» وهز رأسه ببطء وتابع قائلاً: «انهن يبلغن من العدد ثلاثمائة وخمساً وستين. امرأة لكل يوم من أيام السنة.»

شعرت فين بالإنزعاج لأنها لم تكن تستطيع فهم ما يقصد. وهو لم يكن جدياً، فقد أعلن بعفوية أنه يريدها، أن يكون وجودها دائماً في حياته، ثم تابع ليعترف أنه قصد فقط طوال الفترة التي يريدان فيها أن يبقيا معاً، وبالتالي يعني إلى أن يسأم منها. فهو لا يستطيع أن يحتمل العيش مع امرأة بدأت تشعره بالملل.

قالت له بنبرة حادة أكثر مما كانت تقصد: «أنا لن أكون واحدة ضمن مجموعتك. أنا متأكدة من أن ما عرضته كان مجرد دعابة، وعليّ أن أرفض.» رغم أن مرافقتها له، قريبة منه بأي طريقة كانت، إلا أنه كان الأمر الوحيد الذي كان قلبها المسكين يتوق إليه أكثر من أي شيء آخر.

بدا التوتر ظاهراً على وجهه عندما قام عن مقعده وتوجه نحوها. وقال بانفعال: «لقد توفيت سانشيا منذ أربع سنوات. وآخر امرأة عرفتها تركتني بعد علاقة دامت أقل من

اسبوع وقد كان ذلك منذ عامين. أنت لن تكوني واحدة ضمن مجموعة. أنت الآن، ستبقين الوحيدة. أيرضيك ذلك؟»

كان يقف بجانبها تماماً، والغضب الشديد ظاهر على وجهه. إذ من الواضح أنها قد لامست نقطة حساسة عنده بالطبع، لكنها هزت رأسها دون أن تتكلم لكن بطريقة معبرة جداً، والدموع تتراقص في عينيها. ما يرضيها هو حبه فقط، ارتباط مدى العمر، وهذا ما لن تحصل عليه.

اختفى الغضب من وجهه، وقال بصوت بالكاد سمعته: «هل أنا حقاً كريه إلى هذه الدرجة، يا فين؟»

وخلال الوقت الذي استغرقته لتنظر إلى ملامحه المتألمة بعينيها الودودتين، أدركت ما كان يعنيه.

فهو لم يكن يقصد الحب بالمعنى الحرفي. ولكن، كما فهمت، كان يقصد فشل حياته الزوجية، فشل العلاقة التي خاض غمارها منذ عامين مع المرأة التي تكلم عنها الآن، والطريقة التي صحح بها لها ما قالته من أنه لم يعرف الفشل في حياته أبداً.

انتصبت واقفة على قدميها وقالت: «لا عليك أن تفكر بذلك. أبداً!» قال لها: «آه، أجل، يا فين!» أدركت فين أنه لا مجال للتراجع بالنسبة لها. أبداً لأن مبادئها لتحمي نفسها من العواطف المدمرة ذهبت مهب الريح. لأنها أحبته بقوة ولم تعتقد أبداً أنه ممكن أن يكون هناك شخص يحب مثلها، وقد كان هذا صحيحاً.

وبعد أن حملها بين ذراعيه، راح يتأملها ثم قال: «أنت جميلة جداً يا فين. أنت رائعة، أنت مفتاح سعادة. وكل جزء منك قصيدة. منذ اللحظة الأولى التي رأيتك فيها عرفت اننا

سنكون لبعضنا، وعرفت أنك ستكونين لي بملء إرادتك...»

استفاقت فين عندما دخلت أشعة الشمس من نافذة غرفتها مشرقة على وجهها. فتحت عينيها بطريقة حالمة، فقد كانت تشعر أنها تشع حباً.

وتساءلت في نفسها، ما هي قيمة حريتها واستقلاليتها الآن؟ فهي تنتمي إليه، الآن وإلى الأبد، أسيرة حب وعواطف يستحيل إنكارها.

خرجت إلى غرفة الجلوس، وراحت تتأمله وهو مستلقٍ على الأريكة بعينين هائمتين وهي تقول في نفسها ان هناك الكثير من الأمور التي يجب توضيحها قبل أن يباشرا حياتهما المستقبلية.

قامت بحذر شديد تسللت إلى خارج الغرفة وهي تقول في نفسها انها ستحبه دائماً، تعيش معه دائماً، وتذهب معه أنّى يذهب. الحرية الوحيدة التي تحتاجها الآن هي حرية التعبير عن حبها. وإذا كان عليها أن تحمل أطفاله، فإنها لن تستثنيهم من حبها. لأنها ستمنحهم هي وسول الحب والشعور بأنهما يحبانهم ويريدانهم، لكي يتأكدوا أن هناك من الحب ما يكفي لهم ويفيض، أيضاً.

شعرت فين أنها حية أكثر من أي وقت مضى، هذا بالإضافة إلى شعورها بالسعادة، باستثناء سؤال واحد كان لا ينفك يدور في عقلها وهو ما إذا كان سول سيرتبط بها إلى الأبد حين يعرف أنه، بغض النظر عن راي... لم يكن لديها أي حبيب آخر.

لكن حتى هذا السؤال لم يستطع أن يطفىء تلك السعادة التي كانت تشعر بها. فإذا بالسماء زرقاء صافية ثانية،

وشمس الصباح دافئة، وكانت تستطيع أن تسمع من خلال باب الغرفة المفتوح صوت الأمواج التي كانت ترتطم على الشاطىء.

يا للروعة! وبينما كانت تحضر طعام الفطور لتضعه بعد ذلك على الصينية، أحست بقدومه خلفها حين قال:

«كنت أنوي أن اقدم لك طعام الفطور وأنت مرتاحة. وطعام الغداء. وطعام العشاء.»

استدارت لتقف مواجهة له، كادت أن تفقد عزمها.

«هناك أمر أود أن أحدثك في شأنه.»

فابتسم وفي عينيه بريق غريب، وقال: «بالتأكيد لديك شيء تريدين التحدث عنه، لكنني أعتقد أنه يمكننا القيام بأمور عديدة حياله أفضل من الكلام عنه.»

«لا.. كن جاداً!» ثم تورد خداها، وراحت شفتاها ترتجفان من الضحك.

«آه، أنا جاد، أنا جاد. أنا لم أكن يوماً جاداً مثلما أنا الآن.»

«أنا أعني ذلك. هناك أمر أريد أن أقوله لك أولاً.»

«كم أحب أولاً! هذه.» وابتسم لها، ثم تابع قائلاً: «هيا تكلمي.»

أسرعت إلى المطبخ، ثم رجعت وهي تحمل ابريق الماء المغلي، وقطعاً من الخبز المحمص، واختارت أن تجلس في الجهة المواجهة له، وراحت تتأكد بعينيها من أن كل ما هو مطلوب للفطور موجود.

عصير البرتقال، الزبدة، عسل. هل يحب العسل؟ كان هناك الكثير من الأمور التي لا تعرفها عنه بعد، وسيسعدها

كل شيء جديد تعرفه عنه. وعندما التقت عيناهما شعرت بأنها غارقة في حبه لدرجة أنها تشعر بصعوبة لأن تنطق كلمة واحدة، بينما كانت تصب القهوة وعصير البرتقال المثلج بيدين مرتعشتين. ثم راحت تراقب اصابع يده التي كانت تدهن الزبدة على قطعة من الخبز المحمص.

وبينما هو يقطع قطعة الخبز إلى أربع، رفع احد حاجبيه، وسألها: «حسناً؟ ما هو هذا الأمر المهم، يا عزيزتي؟»

لقد خطف صوته اللطيف أنفاس فين، لأنه كان يعني ما هو أهم، الحب اكثر منه التسلية. فقالت له بصوت أجش: «إن أليكس فيربورن هو خالي، شقيق والدتي. إذاً ليس من الضروري القول، «علاقتنا» ليس لها أي وجود، سوى في عقول هؤلاء الأشخاص الذين صدقوا تلك الشائعات المشينة في الصحف.»

كانت قد قررت حتى هذا الصباح أن تبقي ذلك سراً إلى أن يتخذ ذلك القرار بشأن مستقبل أليكس المهني في محطة فيجن وست. لكن حبها له، غير كل ذلك. إذ أن اهم شيء بالنسبة لها الآن هو أن يعرف حقيقة امرها. فهو لا يمكنه أن يعاقب أليكس لأنه خدعه، فقد كان شخصاً أقوى من أن يشعر بهكذا نوع من الحقد. وحتى لو لم يحبها، فهو يرغب فيها بجنون، ويشعر ببعض العطف عليها، وهي متأكدة أنه لن يقوم بما يؤذي خالها، ومن خلالها، هي.

كانت تراقبه بحذر وهو يجلس دون حراك. كان وجهه الساحر خالياً من أية تعابير، وتوقف عن تناول طعامه، وراح ينظر إليها بعينين كئيبتين.

«لا بد أن هناك المزيد من الأسرار.»

لقد كان هناك المزيد، وقد أخبرته بصوت خفيف حين أحست أن هناك أمراً سيئاً يحصل. فقد أخبرته بأنها، ليست كما يعتقد، اذ كان لها حبيب واحد قبله، وأن تلك العلاقة الفاشلة كانت منذ زمن بعيد. وأخبرته كذلك عن مخاوف أليكس من أن انخفاض عدد مشاهدي برنامجه قد يؤدي بالتأكيد إلى الغاء برنامجه. وكذلك عن خطة جين كي تعيده إلى الأضواء، ان تظهره على أنه لايزال ذلك الشخص الذي ارتمت السيدات تحت قدميه في الكواليس... انه حقاً يستطيع جذب النساء ثانية إذا ما رآه الناس برفقة فتاة اصغر منه سناً بكثير.

«كانت فكرة حمقاء.» وتمنى لو أنه يستطيع ان يقول المزيد، أن يقوم بتعليق ما عوضاً عن أن ينظر إليها نظرات باردة حتى أن أشعة الشمس لم تستطع أن تلطف من القسوة البادية على ملامح وجهه. ثم تابع: «وبعد أن خططتما للأمر، بدأت بتنفيذها. وأنت تضحكين في قرارة نفسك.» ثم ترك الطاولة برباطة جأش وتماسك. لكن عينيه كانتا تشعان غضباً وتابع قائلاً: «لا أحد يمكنه أن يسخر مني، ولا حتى امرأة، خصوصاً امرأة، مرة ثانية أبداً.»

لقد كان يتحدث عن سانشيا، والطريقة التي تصرفت بها خلال حياتهما الزوجية. لذلك استطاعت فين أن تعذر عصبيته. لكن هي، فين، لم تقصد يوماً أن تسخر منه. لقد فاجأتهما الظروف وجعلت الاعتراف، حتى الآن، أمراً لا مفر منه كان عليها أن تحاول أن تجعله يتفهم ذلك. ولو كان هذا هو الشيء الأخير الذي تقوم به فإنه عليها القيام به.

لكنه رحل، متوجهاً نحو سيارته وكأنه لم يستطع أن يهرب منها بسرعة كفاية، ولحقت به حالما جعلها عقلها المذهول تقف على قدميها.

وعندما صرخت: «سول!» كان قد فتح باب السيارة وقالت في نفسها انه لا يمكن لذلك أن يحدث، لا يمكن. كيف يمكن له أن يبعد عنها، بعدما حصل ليلة البارحة؟ كيف يمكنه أن يفعل هذا بها؟

كانت عيناها الكبيرتان تنظران إليه نظرات رجاء وراحت تصارع البوابة الصغيرة تلحق به، لكن حركتها كانت مضطربة، فهو حتى لم ينظر إليها: «أنا أحبك يا سول...» اعتراف لم يسمعه بسبب هدير محرك سيارته.

جلست فين على صخرة وغطست قدميها في مياه البركة المالحة، وهي تراقب رقرقة صفحة المياه، وانعكاس أشعة الشمس في الماء، ثم تنفست عميقاً وحاولت أن تسترخي.

إنها ستترك هذا المكان الجميل المنعزل إلى الأبد ولن تعود إليه ثانية. جين وأليكس سيأتيان ليقلاها والأغراض التي طلبت منها والدتها ان ترسلها إليها في أوستراليا، وهذا أمر على فين تنفيذه. فهي ستودع جزءاً من حياتها الماضية. وأخيراً، والأمر الذي لا مفر منه انها ستودع سول.

لقد مضى أسبوع على سول، وهو غاضب لدرجة أنه لم يرغب في سماع أية كلمة أخرى منها. وتركها تموت في داخلها مصدومة وقد مضى وقت طويل قبل أن تستطيع استجماع قواها وعندئذ، وبمعجزة ما، وجدت في نفسها قوة عشرين شخصاً، وقامت بكل ما كان عليها القيام به

بسرعة البرق، بالكاد تتوقف كي تأكل، لكنها كانت ترمي بنفسها على السرير عندما كان يدفعها الإرهاق إلى ذلك.

لم تبك، وهذا أمر لم يفاجئها: لأنها لم تجد الدموع وكل العواطف التي أثارها بقوة في حايتها بدت وكأنها اختفت.

لكن من يحتاج إلى العواطف، على أي حال؟ فالعواطف تثير الفوضى في حياة الناس. وهي تستطيع ان تعيش دونها. فهي أكيدة من أنها عاشت دون وجودها!

وراحت تتمشى قرب الشاطىء حيث كانت تتكسر الأمواج، تلامس الرمال الدافئة بقدميها، وأشعة الشمس تنعكس على شعرها الأشقر، وتلامس قدميها الطويلتين تحت البنطال القطني القصير الذي كانت ترتديه، وتتسلل أشعة الشمس كذلك من خلال بلوزتها القطنية الطويلة.

الأمر الوحيد المريح الذي كان يمكنها أن تشعر به في وضعها المؤسف هو حقيقة أنه، وبعكس مخاوفها الكثيرة بعد صدمتها بسبب ردة فعل سول لاعترافها له، أنه لم يقم بطرد أليكس من محطة فيجن وست.

فبعد أربع وعشرين ساعة من رحيل سول، اتصلت جين هاتفياً من ايدينبرغ وهي بالكاد تستطيع السيطرة على نفسها.

«لا يستطيع أليكس أن يكلمك... أو يكلم أي أحد، فهو ثمل من السعادة، ادعي له! فقط تخيلي برنامجاً اسبوعياً... اسبوعياً! لقد عرضوا عليه عقداً طويل الأمد. لقد اتصل لورينس هاتفياً قبل نصف ساعة. فمن الواضح انهم كانوا يشاهدون حلقات من برنامجه مسجلة على شرائط الفيديو وقال لورينس نه مقدم برنامج عفوي... أتذكرين تلك الفقرة

القصيرة التي كان يقوم فيها بمقابلة أحد المشاهير في برنامجه أمسيات مع أليكس؟ لقد قرروا أن يقوم هو بتقديم برنامجه الخاص، نكاد لا تصدق من شدة السعادة.»

على الأقل تستطيع أن تشكر حظها لأن غضب سول منها لم ينصب على أليكس، وإلا لما كانت لتسامح نفسها لو كان فعل ذلك. إذاً ليس هناك من أمور في حاجة إلى تسوية، سيكون هناك فقط بعض الندم. لقد رمى سول بسحره عليها وجعلها تغرم به. وبفعله ذلك، فقد محا رأيها السابق والسليم انه كان من الأفضل لها أن تتابع حياتها وحدها، حرة وخالية القلب.

فقالت في نفسها مؤكدة وهي ترمي بحجرة صغيرة في البحر، انها تستطيع أن تستعيد حياتها تلك ثانية. إذ في استطاعتها أن تنسى سول اكرمان فقط عندما تستأنف ما بقي من حياتها.

وما بقي من حياتها يبدأ غداً.

وفي ما يخص اليوم، فإنها وبكل بساطة ستسترخي وتستمتع بأشعة الشمس، تحاول أن تنسى ما حصل وتقرر ما ستقوم به خلال الأسابيع القليلة المقبلة. فهي تستطيع ان تأتي إلى هنا بين الحين والآخر... ما دام لم يشتر أحد هذا الكوخ، قد تأتي لتعرضه على من يريد شراءه... لكنها لا تستطيع البقاء فيه والاسترخاء دون أن تعمل وتحصل على النقود. ولا تستطيع أن تحتمل الألم لأن كل شيء فيه يذكرها بسول، كل ما قاله، بوميض عينيه الرماديتين، جمال يديه القويتين... وقد كان الألم عنيفاً. إذاً البقاء هنا أو حتى المجيء بين الحين والآخر لن يساعدها على نسيان سول.

قال لها جين وأليكس انه يمكنها أن تسكن معهما إلى أن يحين وقت استلامها وظيفتها التالية في إيطاليا لكنها لم تكن لتتقبل الإحسان، حتى ولو كان من أشخاص أحبتهم، والعرض الآخر الذي قد تحسد عليه بدا وكأنه افضل ما تتمناه في تلك اللحظة. إن اثنين من اصدقاء جين وأليكس يملكان منزلاً صغيراً قرب تروورو وفي حاجة ماسة إلى موظفين. فقد كانا في حاجة إلى من يقوم بالمساعدة في أي أمر يحتاجانه مقابل مكان للنوم وخزانة والقليل من النقود.

لقد جعلا ذلك يبدو وكأنه عمل شاق لكنه شاق جسدياً، وقد كان هذا هو العمل الذي كان يحتاجه جسدها الآن بالذات، فقد أرادت ان تنام وهي متعبة لدرجة أنها لا تستطيع التفكير، أو الحلم. بالإضافة إلى أن البحث عن عمل في مجال تخصصها سيستغرق الكثير من الوقت. كل ما أرادته هو أن تعمل حتى ولو كانت غير مؤهلة أكثر مما يجب.

إذاً غداً، عندما تعود إلى تافيستوك، ستحصل على رقم الهاتف من جين، وتتأكد ما إذا كانت تلك الوظيفة لاتزال شاغرة، ثم تتصل بمكتب عقاري في بلايموث وتعرض الكوخ للبيع وترحل. وأبداً لن أن تنظر إلى الوراء.

بعد أن قررت ما ستقوم به خلال الأسابيع القليلة المقبلة، توقفت عن التفكير وتلمست حرارة الماء بأصابع قدميها وقد كانت باردة لدرجة تخطف انفاسها. ولا أحد سوى الجريء يستطيع ان يركب امواج المحيط الأطلنطي قبل منتصف فصل الصيف.

لكن فين لم تكن جبانة، فنزلت إلى الماء، تاركة الأمواج تقارعها، وهي تقارع الأمواج تارة وتتحرك معها تارة أخرى. سعيدة لأن قوة مياه المحيط افرغت عقلها المتعب من كل شيء آخر. واخيراً، وبعد أن عادت إلى الشاطىء، كان شعرها ملتصقاً برأسها، فشعرت أنها حرة مرة ثانية. شعرت أنها عادت إلى ما كانت عليه سابقاً.

لقد تغير كل شيء ووهم الحرية اختفى، لأن سول كان يقف هناك، يراقبها، ينتظرها حيث كانت تتكسر الأمواج على الشاطىء. واعاد كل شيء ثانية، الذكرى، الحب، والحاجة اليائسة.

والخوف. الخوف من الألم العاطفي الذي قد يسببه، السعادة التي قد يمنحها إياها، ومن ثم يأخذها منها ثانية ودون أي مبالاة.

أخذت تمشي محاولة الا تنظر إلى تعابير وجهه غير المفهومة. لكن صورته كانت مطبوعة في عينيها، جسمه الطويل القوي وهو يرتدي بنطالاً قطنياً أبيض وبلوزة سوداء فضفاضة قصيرة الكمين، ينتصب واقفاً كإحدى صخور الصوان وقدماه متباعدتان قليلاً، ويداه في جيبي بنطاله، فقط يراقبها ويراقبها.

شعرت بنبضات قلبها تضرب قفصها الصدري لشدة قوتها، وبقدميها عاجزتين عن حملها، لكنها اجبرت نفسها على متابعة سيرها، محاولة ان تبدو وكأنها لم تتأثر بوجوده.

فقد تركها منذ أسبوع، للألم والعذاب، رافضاً حتى أن يتكلم إليها، وهي لم تكن تنوي ان تسامحه لقيامه بذلك،

وأن تسامحه لمعاملته لها وكأنها لعوب دون أي احساس تجاهها كإنسانة.

وببطء رفعت عينيها لتلتقي عينيه. فهي لم تكن تريد أن تراه ثانية، حتى لا تزيد من آلامها، ولم تكن تريد أن تنظر إلى عينيه الآن. لكنها لم تستطع أن تمنع نفسها.

لم يكن هناك أي تعبير على وجهه، سوى في عينيه اللتين كانتا توحيان بإحساس معين، إحساس قد يكون ألماً، أو غضباً. وأياً يكن، إختفى ذلك الإحساس قبل أن تؤكده فين وتقوم بالتعليق المناسب.

أخذ سول يحدق في عينيها للحظات طويلة صامتة غير أنها لم تستطع أن تفهم معنى تلك النظرات، فقالت في نفسها بدهشة شديدة انها أحست وكأنه يسحب روحها من جسدها، ويضعها في جسده. وكأنها ملك له الآن ودائماً، وأنه أتى ليعلن ملكيته.

لم يكن هناك أي مقاومة من جهتها، وكالمعتاد لأن حضوره يسلبها أرادتها، ليتركها ضحية قوته. فأغمضت عينيها، محاولة الا تسمع نبضات قلبها الصارخة، وركزت سمعها عوضاً عن ذلك، على صوت الأمواج المتلاطمة ترتطم على الصخور التي كانت تحيط بالممر، على صوت خرير مجرى المياه الذي كان يجتاز الممر ليمتزج بمياه المحيط.

فتحت عينيها فجأة، لترى تلك العينين تحدقان بها بإمعان وقالت بصوت أجش: «أتركني. أنا لا أعرف لماذا أتيت إلى هنا، ولا أريد أن أعرف. أرجوك ارحل.»

«لا تقاوميني يا فين. لقد ارتكبت غلطة أذنك، وأنا آسف.»

دفعته بعيداً عنها، وصرخت قائلة: «جئت لتمارس نفس الدور معي ثانية، أليس كذلك؟ ليس هناك ما هو أفضل لتقوم به؟ حسناً، أنا آسفة، فأنا لدي ما أقوم به!» فهي تستطيع القيام بأمور أفضل في حياتها من أن تتحمل الألم الذي قد يسببه لها. ربما حاجته إليها كانت أكبر من تردد. ليتقارب من امرأة لا تعتبر ذلك نمط حياة امرأة قد تطلب ما يدوم اكثر مما كان يستطيع تقديمه لها. لكن الأمر سيّان، إذ أنه سيأتي الوقت الذي يرحل فيه مرة ثانية، والمرة الثانية، المرة الأخيرة، ستكون أسوأ بكثير من المرة الأولى فهي لن تستطيع احتمال ذلك أبداً.

صرخت به قائلة: «لم تستطع الرحيل بسرعة كافية عندما اكتشفت أنني لا أعتاش من عملي القذر. هل يمكنك أن تتعامل فقط مع امرأة تعرف انك تستطيع طردها من حياتك دون أية ضغينة؟ أتخاف النوع الآخر من النساء؟ من امرأة تعيش بعواطفها وليس بحسابات مالية؟ ستكون عائقاً، أليس كذلك؟ فهي قد تبدأ بطلب أمور لا تستطيع ان تقدمها لها، كالحب والاحترام وحياة عائلية طبيعية.»

«لا.» ويا للدهشة، فقد كان يبتسم.

وأضاف: «علينا أن نتحدث. اعتقد أن الأفضل أن نعود إلى البيت.»

راحا يمشيان ببطء. وهي تتساءل في نفسها لماذا تجعل ذلك يحصل، لماذا تختفي إرادتها عند وجوده. لماذا حاجتها إلى الاستقرار العاطفي، ومهما كان الثمن، اختفت.

«لقد رحلت لأن كبريائي تحطمت. لم أكن أفكر بطريقة سليمة. ايمكنك أن تسامحيني؟ علاقتي معك كانت أجمل

تجربة في حياتي، وكل ما استطعت أن أفكر فيه هو أنك كنت تضحكين عليّ... تجعلينني سخيفاً عندما بدأت اتصرف كعالم نفس هاوٍ.» ثم غرس قدميه في الرمل وقال: «أرأيت، يا فين، لقد ظننت أنني فهمتك، أنني عرفتك... عرفت حقاً لماذا كنت غير قادرة على الارتباط برجل واحد، وفضلت أن يكون هناك الكثير. والا تبقي في مكان واحد أبداً، أو مع أي شخص، فترة كافية لأي مشاعر حقيقية لتتطور. لا بد وأنك ظننت أنني أحمق مغرور. لذلك رحلت. لم أكن أريد أن اسمعك تضحكين عليّ.»

لم تستطع فين أن تحتمل ذلك الألم الشديد في عينيه. وراحت تحرك طرف أحد اصابع يدها حول فمه وهزت رأسها.

«سأضحك معك، وليس عليك أبداً. وأنت لم تكن مخطئاً لأنه لا بأس بك كعالم نفس. حاولت ألا أكون مرتبطة عاطفياً برجل واحد. لأنني لم أدع رجلاً يقترب مني، ولو مرة واحدة فقط. وقد كان ذلك كارثة، وحسب رأيي، أنني سأكون أفضل بكثير إذا كنت وحيدة. لم أكن أريد يوماً أن اصبح كوالدتي. لقد كانت معتمدة كثيراً على والدي، بكل جوارحها، إلى حد أنه لم يتبقَ فيها شيء، ولا حتى القليل القليل لتمنحه لطفلتها.»

لقد أخبرها بأن ذلك اليوم الذي أمضياه معاً كان أجمل يوم في حياته، وأن كبرياءه المجروحة جعلته يرحل عنها باستياء وغضب. لكن لا يجب أن يعني ذلك بالضرورة أنه أرادها في حياته للحظة أطول من الفترة التي استغرقها ليسأم منها.

«لقد وجدت رجلاً يمكنك العيش معه، ووضعك سيكون أفضل من أن تكوني وحدك، وارتباطك لا يعني خسارتك لنفسك، هل تتزوجينني؟ وراح ينظر في عينيها برغبة شديدة وقال: «سأمنحك دقيقتين لتفكري في الأمر. أريدك هنا، وأريدك الآن. لكن شيئاً جميلاً يتطلب التزاماً، عهداً، ارتباطاً. لديك دقيقتان من الوقت. لا استطيع ان اتحمل أكثر من ذلك.»

لكن ثانيتين كانتا أكثر من الوقت اللازم. لأن الدموع ترقرقت في عينيها، وسألت: «هل تحبني؟» دون أن تعي ذلك التوق في صوتها.

«دائماً.» كان كل شيء في داخلها يرقص فرحاً، وعندما سألها: «وأنت قولي لي انك تحبينني، وانك ستتزوجينني.» لم تستطع سوى أن تخفض رأسها خجلاً لتعلن موافقتها.

ودون أن تعي فعلاً كيف حصل ذلك، وجدت نفسها وإياه في المنزل، وصمت المساء يخيم على المكان، وقال بينما كان يصعد بها إلى الطابق العلوي: «سآخذك غداً إلى منزلي، وأبقيك هناك حيث سنتزوج بالرغم من التقاليد. سنترك رسالة قصيرة لأليكس، معلقة على الباب، لينهي ما يجب أن يقوم به هنا. لكن ما تبقى من اليوم، يا عزيزتي، هو ملك لنا، ولنا فقط.»

لقد كان الظلام على وشك الحلول، عندما خرجا أخيراً من المنزل الصغير، متوجهين نحو الممر، ويداً في يد، والحب يسيطر عليهما. أحست فين وكأنها تسير في حلم، في رحلة قد تدوم إلى نهاية حياتها. وسول يمشي معها، يشاركها كل شيء، كل تلك السعادة.

فقالت بهدوء وهي تجلس على الرمل: «أتدري.» ثم راحت تنظر إلى البحر، حتى يجلسا في مكان يستطيعان منه رؤيته، ورؤية السماء التي تمتد كخيمة حريرية سوداء، مرصعة بالنجوم وتابعت قائلة: «حتى الآن لا أعرف حقاً كيف حصل كل ذلك. أقصد حبنا لبعضنا.»

فجلس إلى جانبها وقال: «انه القدر، يا عزيزتي. لا بد وأنك سمعت عنه، ولا تستطيعين محاربته. عندما رأيتك للمرة الأولى، رغبت فيك بصراحة، وقررت أنني سآخذك من أليكس. أردتك في حياتي لا في حياته، أو في حياة أي رجل آخر. ثم تغيرت الأمور وبدأت أهتم لأمرك، ما قد يحصل لك، ولبقية حياتك وجدت نفسي أريد الاعتناء بك، أعلمك الا تخافي من العواطف. آه، لم أكن أفكر على اساس ارتباطنا طول العمر معاً. لقد خدعت من قبل امرأة ولم أكن أنوي أن أكرر هذه الغلطة مرة ثانية. ما لم أدركه هو أنني كنت قد اغرمت بك بجنون، لدرجة أنني سأكرس ما بقي من حياتي لك، بالرغم مما ظننته عن ماضيك المريب.»

أضاف: «لقد قبل قلبي مقدماً أن تكوني جزء لا يتجزأ مني. وعندما أخبرتني حقيقة نفسك شعرت بشدة أنني خدعت مرة ثانية وقد لزمني بعض الوقت كي أداوي كبريائي، وأعترف أنك كنت الإمرأة الوحيدة بالنسبة لي، وأن كوني خدعت بعد ان رأيت الحقيقة واضحة، لم تؤثر بي. هذا هو، يا عزيزتي، القدر إذاً، دعينا نستجيب له.»

ثم أخرج صندوقاً صغيراً من سيارته، وأخرج من الصندوق زجاجة من عصير التفاح وكوبين من الكريستال وبعد أن صب العصير في الكوبين وقدم إليها واحداً، جلس

بقربها وهمس قائلاً: «يحيا القدر. وحياتنا معاً. وحبنا.»

فرددت قائلة: «يحيا حبنا.» وانزلق كوبها من يدها.

لم تلاحظ فين ما حصل، لأنها كانت مأخوذة به، فهي لم تكن في حاجة إلى شراب، كل ما كانت تحتاجه هو سول. وهو لم يترك لها أبداً مجالاً للشك في أنه لها حتى آخر العمر.

تمـــت

www.elromancia.com